obeikandl.com

أنا الموت يحدّثكم

الكتاب: أنا الموت يحدثكم
المؤلف: محمد مجدي يوسف
تصميم الغلاف: محمد مجدي يوسف
رقم الإيداع : 2016/22987
الترقيم الدولي : 978-977-778-090-3

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02 35860372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

أنا الموتُ يحدّثــكم

رواية

محمد مجدي يوسف

ن للنشر والتوزيع

obeikandl.com

تنوية لابد منه:

عزرائيل..

هي كلمة يهودية الأصل تعني (عبد الله)، وتطلق على الملك المكلف بقبض الروح..

انتشر هذا المصطلح بين المسلمين على أنه ملك الموت، ولكن في الحقيقة لم يذكر هذا الاسم في القرآن الكريم أو أي من الأحاديث، وإنما ذكر بإسم ملك الموت فقط.. أما إسم عزرائيل لا وجود له في الشريعة الإسلامية.. وبتالي فإن أحداث تلك الرواية خيالية لا تمت للواقع بصلة، ولا تتطرق إلى أي مقدسات في الشريعة الإسلامية، وإنما مبنية على الخيال وبعض من الإسرائيليات.

obeikandl.com

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا

صدق الله العظيم

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى تلك الـــــروح

البائسة التى تؤمر

اسكني فتسكـــــن

اخرجـي فتخــرج

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

لا أَعرف الشخصَ الغريبَ ولا مآثرَهُ....

رأيتُ جِنازةً فمشيت خلف النعش،

مثل الآخرين مطأطئ الرأس احترامًا. لم

أَجد سَبَبًا لأسأل: مَنْ هُو الشخصُ الغريبُ؟

وأين عاش, وكيف مات [فإن أسباب

الوفاة كثيرةٌ من بينها وجع الحياة]

سألتُ نفسي: هل يرانا أَم يرى

عَدَمًا ويأسفُ للنهاية؟ كنت أَعلم أنه

لن يفتح النَّعْشَ المُغَطَّى بالبنفسج كي

يُودِّعَنا ويشكرنا ويهمسَ بالحقيقة

[ما الحقيقة؟]

****

ربما هو كاتبٌ أو عاملٌ أو لاجئ

أو سارقٌ, أو قاتلٌ... لا فرق،

فالموتى سواسِيَةٌ أمام الموت... لا يتكلمون

وربما لا يحملون...

وقد تكون جنازةُ الشخصِ الغريب جنازتي

لكنّ أَمرًا ما إلهيًا يُؤَجِّلُها

لأسبابٍ عديدةْ

من بينها: خطأ كبير في القصيدةْ!

من قصيدة

لا أعرف الشخص الغريب"

للشاعر الكبير الراحل : محمود درويش

obeikandl.com

الحياة والموت
وما بينهما!

obeikandl.com

obeikandl.com

- لماذا تحادثني؟
- أنت أردت الحديث..
- وهل هذا يحدث مع الجميع؟!
- تقريبًا، ولكن بطرق أخرى، هذه مختلفة..

*****

هشام

أروع يوم مررت به منذ أن وطأت قدماي هذا المكان، يا الله!

ذلك الشعور!، أهو أكبر من الحب؟!، أم أنه مجرد شئ جديد أمر به فأنبهر وأتعلق بتلابيبه مثل غيره؟!

لا لا، هذا مختلف، فأنا أعشق قربها، أريد أن أرى عينيها الزرقاوين كل لحظة..

أترك رفقتها فأراها فى أحلامي، نعم أحلامي، لا تتعجب، فأنا أحلم أحلام سعيدة الآن مثلي مثل أى شخص..

أدلف إلى العمارة التى أسكن بها، وأستقل المصعد حتى الدور السابع لأجد نفسي أمام باب الشقة دون أن أشعر..

أتأمل اسمي المكتوب على الباب (هشام أحمد الجبالي)، انطق حروفه فأنا لم أعشق هذا الاسم مثلما أعشقه الأن، عشقته منذ أن تغنت هى به..

أُخرج سلسلة مفاتيحي من جيب بنطالي، وأدخل إلى شقتي وأنا أدندن ببعض الألحان..

obeikandl.com

أخلع قبعتي الكلاسيكية، والبالطو لأعلقهما على المِشجَبْ وأنا أفكر، لم أكن أنتوي التفكير الليلة فى أي شئ، ولكني الآن أقف فى صمت تام وقد اتخذت قرارًا بعد تفكير للحظات قليلة..

سوف أتزوجها، غدًا سوف أطلب من (سلمى) الزواج..

لم لا؟! فهى فتاة رقيقة، أحبها وتحبني، بإمكاني الآن تكوين أسرة، زوجة، أولاد، بإمكاني...

- أهلا (هشام)، أليس هذا هو أسمك الآن أم أنا مخطئ؟

سرحت فى أفكاري فلم ألحظ أن الضوء يغمر الشقة، بالرغم من تأكدي من إغلاقه قبل النزول!

يظهر المتحدث قادمًا من غرفة النوم، تعرفت عليه من النظرة الاولى، فأنا أعرف جيدًا تلك العيون البيضاء.

- أنت؟! ماذا تريد؟!

قلتها وتسارعت ضربات قلبي، من الممكن فى وقت أخر ألا أشعر بهذا القدر من الخوف، ولكن الأن، اليوم؟!

اقترب الشخص قليلا بخطوات واثقة.. ليظهر أكثر فى بقعة الضوء بجسده العاري، ولون بشرته البيضاء مثل الثلج.. وأعلم أيضا أن ملمسه مثل لون بشرته..!

- ألم تفتقدني؟ لقد مر زمن منذ أخر لقاء بيننا.

*****

أذكر أول يوم خطت قدماى تلك الأرض اللعينة كآدمى، كنت أرتجف خوفًا، أتحرك في الطريق دون هدى، اتطلع إلى المارة بعين يائسة بائسة، لماذا كل هذا؟! فأنا أردت ذلك، أردت الحرية..

الخوف!

إنه شعور أختبره للمرة الأولى فى حياتي، فنحن تعلمنا ألا نشعر، تعودنا على ذلك، ولكن تلك التجربة مختلفة، جعلت الشعور بالخوف يتسلل إلى قلبي عنوة..

أرى الآن هذا البائع هناك، أمر بجواره، ألقي التحية دون أن يكون الغرض منها

أخذ روحه بالمقابل..

ماذا يبيع؟! انها ثمرة التفاح، جيد فأنا لم أتذوقها من قبل، أو بالأحرى لم أذق طعامًا من قبل، فنحن لا نملك جهازًا هضميًا مثلكم، لماذا أقول مثلكم؟ فانا منكم الأن.

أبحث فى جيب سروالي عن تلك الأوراق التي تتصارعون من أجلها حتى الموت، تلك الأوراق التي تدعونها بالأموال..

لا أجد شئ، يبدو أننى لن أذق تلك الثمرة، ليس اليوم على الأقل.

أسير قليلًا، أرى تلك الطفلة حاملة البالونة وهى تركض عابرة الطريق في سعادة..

أعلم أن تلك السعادة لن تدوم.

سيارة قادمة بسرعة، سائقها يتحدث فى الهاتف ولا ينتبه للفتاة العابرة..

يفزع عندما يدنو منها، يحاول أن يتفادى الارتطام، ولكن -كالعادة- الأوان قد فات..

يعلو صوت احتكاك الإطارات بالأسفلت..

تتسع العيون وتنطلق الشهقات من الحلوق.. وفي لحظة كانت الفتاة ممدة على الأرض على بعد متر من السيارة وحولها بركة من الدماء.. بينما بالونتها تعلو إلى السماء.. مثل روحها هي مع حاملها.

لماذا أقف هنا؟

لماذا أشاهد؟

لقد مللت تلك الأحداث، بكل تفاصيلها.

أعبر الزحام في هدوء متجاهلًا الصراخ والعويل، متابعًا طريقي إلى شقتي.

***

مراد

- لماذا تريد قتلي؟! أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا!

أنظر إلى تلك الروح التى ترفض الخروج من الجسد الراقد أمامي، ترفض القدوم معي، وحجتها عدم ارتكاب أخطاء!

لا يا صغيرتي، جميعنا ارتكبنا الأخطاء، فصحيفة أخطائك أحملها فى يدي الآن، أتريدين أن أتلوها عليكِ واحدُ تلو الأخر؟.. ولكن..

- أنا لا أقتلك، فأنتِ روح الآن، خالدة لا تموت، أنا فقط اصطحبك معي إلى الخُلد.

كانت تبكي! ، الروح تبكي! ، لا أرى دموعًا، ولكني أقسم أنها تبكي الآن!

- لا أريد أن أذهب معك، هنا أعيش بين أطفالي، لو ذهبت معك، من سيهتم بهم؟ أنت؟ بالطبع لا، أنت فقط موكل بقتلي، عفوًا عفوًا نسيت أنني لا أموت، موكل بنفيي إلى المجهول!

تبًا لتلك المشاعر الإنسانية، لماذا لم أتركها مع آدميتي؟ أأتركها وأفشل فى أول مهمة موكلة لي؟ أخذ روح قطة؟!

تتحول نبرتها إلى الحدة:

- لماذا مازلت هنا؟ اذهب الآن، أنا لم أخطئ طوال حياتي، فليس لك علىّ بسلطان..

أعود مرة أخرى إلى تلك المشاعر الإنسانية، استفزني أسلوبها، كيف تحدثني هكذا؟! أنا من يملك زمام الأمور هنا، فكيف لها أن تحادثني بتلك الطريقة؟!

أستعيد صحيفتها فى رأسي لتظهر أمامي أخطائها اللا نهائية، كل خطيئة مهما ضئل شأنها..

- لا توجد روح بلا خطيئة، حتى لو كانت روح حيوان مثلك، أمس، لماذا قتلتي ذلك الفأر؟! هل حاول إيذاء صغارك؟! أم أقلق منامك؟! لماذا قمتي بقتله وإلقاء جثته على الأرض دون شفقة أو رحمة؟!

كنت حازمًا فى كلامي مما جعلها حائرة مرتبكة..

- أنا قطة وهو فأر، أليس السبب واضحًا هنا؟!

- لا ليس واضحًا، فالفأر روح مثلك تمامًا.

ازداد ارتباكها..

- لقد وُجِدتُ فى تلك الدنيا، وتعلمت أن أقتل الفئران كلما وقعت تحت مخالبي، هذا ما وجدت عليه آبائنا وأجدادنا.!

فلتت مني ضحكة ساخرة مستنكرة، قبل أن أقول ساخطًا:

- تلك العبارة سمعتها من قبل على لسان بني الإنس من الكفار، هذا ما عوقبوا ويعاقبوا من أجله حتى الآن، ألم تتعلمي منهم شيئًا طوال وجودك بينهم؟!

صمتت لثواني اعتقدت فيها أنها استسلمت لمصيرها بعد هزيمتها في تلك المبارزة الكلامية، ولكنها عادت للحديث مرة أخرى، ويا ليتها ما فعلت!

- لا تقارنني أبدًا بأحدٍ من الإنس، فأقل شئ ممكن أن أتعلمه منهم، هو قتلي لذلك الفأر.

*****

ذهول، نشوة، حماس، هذا ما شعرت به عندما خطت قدماي لأول مرة تلك المدينة..

مدينة عزرائيل..

نعم، هذا هو أسمها، مدينة عزرائيل، فكل من يعمل بها أسمه عزرائيل، ويحكمهم عزرائيل الكبير، ولذلك يطلقون عليها هذا الأسم..

الخوف لم يتطرق إلى قلبي مطلقًا، رغم معالم المكان المرعبة، فتلك المدينة تصلح لأن تكون مكانًا لتصوير الأفلام الأشد رعبًا، فالأرض جرداء متشققة لا تصلح لأى شئ، حتى السير عليها مرهقًا، جبال وبراكين خاملة فى كل ركن..

توجد سماء بها سحب رمادية وكأنها سوف تمطر سيولا ولكنها لا تفعل، وينبعث من السماء إضاءة، لا أعلم مصدرها، فعيناي لا ترى شمسًا أو قمرًا أو غيرهما، ولكنى أرى الموجودات حولي بوضوح..

كان هذا بالنسبة للمكان، أما عن الأشخاص، فكان المكان يعج بهم، رجال في كل صوب، هيئة واحدة، وجوه مختلفة، فجميعهم لا يمتلك شعرًا على رأسه، بشرة أشد بياضًا مما اعتدت أن أرى، عرايا، ومرسوم على ظهورهم ما يشبه الوشم، أو هو وشم بالفعل على شكل جناحين كبيرين..

ولكن مهلًا.. أرى شيئًا، أعضائهم التناسلية لا وجود لها!

ليس هذا فقط، وإنما هناك الأشد رعبًا، لا ليست أجسادهم مفتولة العضلات، أو صمتهم التام، فلا يوجد أحدٍ يحادث الأخر، وإنما عيونهم، فهي بيضاء كالثلج!

- أهلًا بك فيما أملك.

جاء الصوت من خلفي، فالتفت إلى مصدره، لأجد شخصًا يرتدي ملابس عصرية مثلي، بنطال جينز، وقميص، شاب فى الثلاثينات، منمق الشعر، مهذب الذقن، يعتبره النساء فى عالمي وسيمًا..

يختلف مظهره عن باقي الأشخاص فى تلك المدينة، بل ويتحدث لغة أعرفها، يحدثني أنا، حيث تجاهل وجودي الآخرين..

- من أنت؟ وما هذا الذي تملكه؟!

قلتها وأنا اتطلع إلى المكان حولي.. فنظر هو الآخر إلى حيث أنظر، ثم قال متباهيًا:

- أنت الآن فى مدينتي، مدينة عزرائيل.

انتابتنى قشعريرة فور سماع الاسم، بالرغم من أنني كنت مع أحدهم محمولًا منذ قليل!

تمالكت نفسي سريعًا:

- إذًا فأنت عزرائيل الكبير؟

ابتسم الرجل! لوكان هو فعلًا عزرائيل الكبير-سيد المكان والمسئول عن قبض الأرواح- فتلك الابتسامة يجب أن توثق!

- - نعم، أنا عزرائيل الكبير.. مالك هذا المكان.

ثم يشير إلى الأشخاص العرايا الذين يتحركون بلا هدى متابعًا:

- هؤلاء عزرائيل، كلهم عزرائيل.

لم أعلق بعد ذلك، تركته هو يتولى الحديث، ومرشدي للطريق، حيث أخذنى عزرائيل الكبير فى رحلة بمدينة عزرائيل..

أخبرني بمعلومات لن تعرفها إلا بعد الموت، ومن الممكن ألا تعلمها أبدًا!

الآن أعلم أن عزرائيل ليس فردًا وإنما هي مدينة وكلهم عزرائيل!

الآن أعلم أنهم لا يتكاثروا جنسيًا ولذلك فلا يوجد داعي لما لا يستخدم، وإنما يُخلقون من العدم!

الآن أعلم أننى مقبلٌ على حياة جديدة، مرحلة جديدة، كنت أتصور أنها مرحلة أبدية لا موت فيها، كيف أموت وأنا من يميت! ولكنني كنت مخطئ، فعزرائيل يموت هو أيضًا، يقبض روحه عزرائيل الكبير بنفسه، فأرواح الملائكة مقدسة لا يمسها سوى عزرائيل الكبير، ويسلمها إلى ربه.

لكل مخلوق قابض للروح، فلعزرائيل درجات، وبمقدار درجتك تقبض الروح، أدناها عزرائيل قابض روح النباتات والحيوانات، وأقواها قابض أرواح الجن والشياطين..

أما روح الإنسان تعددت فهناك من يكون قبض روحه أسهل من الحيوان، ومن هم أقوى من الجن، وفى المجمل، فتلك مهمة عزرائيل وليس عزرائيل الكبير، عزرائيل الكبير لا ينزل من عرشه سوى... إبليس، ولكنه ينظم المسألة، يوزع الأدوار، هو من يعطي قائمة القتلى إلى قاتلهم كل يوم!

ولكن كيف يتم ذلك؟!، هل هناك ورقة يعطيها إليهم؟

- ورقة؟! لا بالطبع، لا نتعامل هنا بالماديات، فالقائمة بالمواعيد والكيفية تنتقل إلى ذهنك، ولا تقلق، لن تنسى شيئًا.

كان هذا رده عند سؤاله، مع ضحكة ساخرة خفيفة، يالغباء سؤالي!

من الأفضل أن ألتزم الصمت وأستمع فقط، ولكن مهلًا، لقد حان الوقت!

حان الوقت لم؟

أحقًا لا تعلم حتى الآن؟!

أنا لن أكون (مراد) بعد الآن!

من اليوم، من تلك اللحظة، أنا (عزرائيل).

***

obeikandl.com

هشام

المقابر..

هذا هو المكان الذي وجدته قريبًا إلى شخصيتي، فأنا دائمًا كنت أعيش مع الأرواح، فلمَ لا أجرب العيش مع الأجساد؟! على الأقل الأجساد خاوية لا تتحدث ولا تسبب الإزعاج.

هذا هو العمل الذي قررت أن أعمله، حارسًا للمقابر، تركت الشقة فى وسط البلد، أغلقتها على أمل ألا أعود إليها ثانية، فالضوضاء كثيرة، وأنا تعودت على الصمت..

وحتى ضوضاء المقابر أستطيع التعامل معها، فأنا معتاد على العويل..

حاولت فى الأيام السابقة أن أبحث عن عمل ما، ولكني لم أجد، فأنا لا أتقن سوى القتل، وحتى هذا ليس معي شهادة خبرة به!، ففي تلك الحياة يجب أن تكون خبيرًا فى العمل قبل أن تقدم عليه، ولكن كيف أكون خبيرًا به وأنا لم أمارسه من قبل؟!

لا تفكر كثيرًا، لن تجد حلًا لتلك المعضلة، فقررت أن أسلي وقتي، وأبحث عن أى شئ مفيد بالشقة، فهي ملكًا لـ(مراد) كما تعلم، وكل مقتنياتها ملكه قبل أن آخذ روحه، فلماذا لا أبحث فيها قليلًا؟، لعل بها ما يفيد!

كانت الشقة صغيرة، غرفتين وصالة، فكان البحث سريعًا..

obeikandl.com

بعض المدخرات، أوراق ليست لها فائدة بالنسبة لي..

جلست على كرسي الأنتريه، أتطلع إلى بعض الأوراق في يدي، أتصفحها غير عابئ، فاليأس والملل كانا المسيطران فى تلك اللحظة..

فاتورة مطعم ما، عقد تمليك الشقة التى أقطن بها، شهادة وفاة والد (مراد)..

توقفت عند تلك الورقة الأخيرة، اعتقدت أنني قد مللت من الموتى، ولكن من الواضح أنني أخطأت، فالموت هو أقرب رفيق لي..

دُفن (مراد) فى مدينة (دمنهور) وبالتحديد فى مقابر (حمور) بـ (منشأة حمور)، لمَ لا أذهب إلى هناك؟ لعلي أجد عملًا..

وبالفعل، فى اليوم التالي كنت فى المقابر، لأقابل عم (محروس) حارس المقابر، وزوجته (أمينة)، كان رجل هرم، يتخطى الستون عامًا، زوجته أصغر منه قليلًا ولكن يبدوا عليها العجز هى الأخرى..

حدثت (محروس)، قلت له أنني أحد أقرباء (مراد)، وأنني أريد أن أعمل معه كحارس للمقابر، رحب الرجل بالفكرة، فهو لا يملك أطفالًا، ويريد مساعدًا في عمله، ولأن المعظم يمقت تلك الوظيفة التي تتعامل مع الأموات، فكان الحصول على مساعد أمر شاق..

عاملاني كابن لهما، علمني (محروس) أصول الصنعة، فهي لم تكن شاقة على الإطلاق، فكل ما عليَّ فعله هو تنظيف المقبرة، وإدخال الجثة الملفوفة في كفنها إليها، بينما يتولى عم (محروس) الدعاء للميت إذا لم يكون هناك شيخًا ليتقمص هو ذلك الدور..

الدخل المادي لم يكن كثير، ولكن ماذا أفعل به، فأنا أمكث، آكل، أنام، ألهو هنا فى المقابر، هى بيتي وحياتي الأن..

كان الوقت يمر طبيعيًا، مملًا، لدرجة أنني في بعض الأحيان كنت أجلس داخل أحد المقابر أحادث جثث الموتى!

أعلم أن الروح قد ذهبت منها، ولكن الجثة الخاوية تظل المستمع الأفضل لك، فلا يمكنها مقاطعتك أو الملل من ثرثرك..

وكانت أكثر جثة تستمع لي -تقريبًا كل يوم- جثة عم (محروس)..

ألم أقل لك أن عم (محروس) قد توفى؟!

عذرًا، لقد توفى عم (محروس) لسببٍ ما، فأنا أكثر من يعلم أنها مجرد أسباب لتقنع العقل البشري، إنما الموت يأتي لأنه لابد أن يأتي.

زوجته أيضًا توفت بعده بأيام، فوضعت جثتها جواره، لم يكن لهما أقرباء، فتوليت أنا كل شئ.

الأن أصبحت حارس المقابر أمام الجميع، ولست مساعدًا لعم (محروس)، توليت كل المهام، مهمتي المعتادة مضافًا إليها الدعاء للميت في حالة عدم وجود شيخ، زادت وظائفي قليلًا فأصبحت أُغسِّل الجثث أيضًا في بعض الأحيان.

كنت سعيدًا، ولكن ليس بالقدر الذي يجعلني أتمسك بتلك الحياة، فحياتي السابقة كانت أفضل بكثير، كم أتمنى أن أعود (عزرائيل) مرة أخرى.

ألم أخبرك بذلك أيضًا؟!

نعم، أنا كنت (عزرائيل) من قبل، ألم أقل لك أن القتل هو الشئ الوحيد الذي أتقنه؟!

*****

تبكي أمام القبر، مشهد أراه كثيرًا، ولكن أن تكون امرأة بمثل هذا الجمال لم أرى!

ينسدل شعرها الأسود على كتفيها، وقوامها ممشوق متناسق زاده الرداء الأسود جمالًا..

من الواضح أنها تحدث من دُفن أمامها، وتبكي..

رغم الظلام، أستطيع قراءة قبر من هذا.. (محمود أبو شامة)، إنه قبر عائلة (أبو شامة)، لقد كنت متواجدًا في يوم دفن هذا الرجل، لا يمكنني نسيان ذلك اليوم فقد كان العدد رهيبًا بحق، لعله شخص مهم..

ولكني لم أرَ تلك الفتاة، شخص بهذا الجمال كان لابد من ملاحظته..

تشجعت واقتربت منها، لأسألها ما الذي أتى بها إلى هنا فى ذلك الوقت المتأخر؟! فالساعة قاربت على منتصف الليل!

- لقد كنت في سفرٍ عندما مات أبي، ولم أستطع النزول سوى اليوم، لن انتظر الغد حتى آراه..

لقد كان العزاء منذ سنة تقريبًا!

كيف تكون ابنته ولا تأتي إلى رقدته مدة سنة كاملة؟!، مهما كانت الظروف!

أراني أصبحت أفكر مثل البشر الأن، فأنا أعلم يقينًا أنها أمور شكلية ليس إلا، فالحقيقة هي تزوروعاء فارغ من محتواه، وعاء لعله تحلل هو الآخروأصبح عظامًا لا تنفع ولا تضر، وبالتالي لا تسمع حرفًا واحدًا مما تقول.. وبالرغم من ذلك أستنكر تأخرها فى زيارة تلك العظام!

- لقد تم دفنه منذ سنة تقريبًا!

يالغبائي!، ما شأني أنا؟!، استعددت لسبة ما أو على الأقل إحراجي، ولكني تعجبت وتنهدت ارتياحًا عنما أجابت منكسرة وكأنها مذنبة:

- لم أكن أعلم، لم يخبرني أحد، لقد خدعوني وتركوني فى سفري..

الأن أتراجع عن كلمة (مهما كانت الظروف)، كيف لك أن تذهب إلى عزاء أحد وأنت لا تعلم بموته؟!

تبادلنا أطراف الحديث، فجلسنا على سلالم المقبرة، وعلمت عنها أكثر مما أتمنى..

اسمها (سلمى)، تعمل جراحة، وبما أنها من عائلة (أبو شامة) فهي ثرية، وحياتها مترفهة، مما أتاح لها أن يتقدم لها واحد من أشهر أطباء الجراحة الطبيب (أحمد العمري) وتسافر معه إلى (لندن) ليعملا هناك لعدة سنوات، وخلال تلك السنوات قاما بإنشاء مستشفى (العمري) بالقاهرة، وتولى إدارتها مؤقتًا والدها، وهورجل الأعمال المشهور (محمود أبو شامة)، فلم يكن من الصعب عليه إدارة مستشفي مع سلسلة شركاته التي يمتلكها!

طال حديثنا حتى أشرقت الشمس، ودعتني بابتسامة ونظرة بمعنى (سوف أراك مرة أخرى).

ظللت جالسًا مكاني، أُحدثني، وفي مخيلتي صورتها، أعلم هذا الشعور جيدًا، لم أختبره من قبل ولكني رأيت أمامي مَن أصابه مِن الإنس وكيف كان حاله، إنه الحب كما يقولون!

***

obeikandl.com

مراد

فشل.. هذه كانت بدايتي مع هيئتي الجديدة، كانت مهمة سهلة، أستلم روح قطة، وأسلمها إلى عزرائيل الكبير!

- فشلت في أسهل مهامك، بقى لك أربع، يجب عليك النجاح في واحدة على الأقل لتستحق لقب عزرائيل..

- لقد رفضت الذهاب معي؟!

- لأنك فشلت في إقناعها.

- وكيف أقنع مخلوق بترك الحياة؟!، بالرغم من معاناتنا فيها إلا أنها المكان الوحيد الذي نعرفه، فدائمًا كل ماهو واضح أمامنا أفضل بألف مرة مما هو مجهول، حتى لو تظاهرنا بعكس ذلك.

صمت عزرائيل الكبير قليلًا، لا أعلم إذا كان يفكر، أم يستشف ما بداخلي.. ولكنه في النهاية تحدث:

- لهذا استحق كل من بالمدينة لقب (عزرائيل)، فلتبذل أقصى ما عندك في اختبارك القادم.

وانتهى الحديث هنا.

*****

لم أستقبل أي معلومات عن مهمتي الجديدة.. أي روح أُزهق.. وكأن عزرائيل الكبير يعطيني فرصة التجول بمدينة عزرائيل وحدي.

obeikandl.com

أرى عزرائيل في كل مكان، كما وصفتهم من قبل، لم أصبح مثل هيئتهم بعد، لم أفقد إنسانيتي بعد، وإنما أتمتع بصفاتهم، حتى اجتازاختباري أظن..

أنا الآن مميزعنهم... أنا الآن أول إنسان قابض للأرواح بدون إثم.

ما هذا الذي أقوله؟! ولماذا أتباهى؟! لقد فشلت في قبض روح قطة!

من الممكن أن يكون هذا هو السبب، أنها قطة!، ربما لو كانت إنسانًا لكان الوضع أكثرسهولة، فماذا فعلت القطة في حياتها حتى آخذها منها؟!، إنما الإنسان خُلق ليخطئ ثم يعاقب على خطأه الذي خلق من أجله!، وأنا من سيعاقبه.

أشعربالنشوة، بالقوة، من الممتع حقًا أن تتحكم في مصائرالآخرين..

هذه المرة أتجول بالمدينة وحدي، وبالتالي كل الأماكن متاح دخولها، فلا يوجد من يقود وجهتي، وأعتقد أن لا ضرر من التعمق أكثر.

المكان كله متشابه، أرض متشققة وجبال، وعزرائيل صامت في كل مكان!

ولكن هذا الجبل هناك يختلف.. فهو أشبه بكهف، له مدخل هناك أمامي.. وأيضًا عزرائيل الجالس أمامه يختلف!

نفس الهيئة، عاري الجسد ولكنه عجوز، له لحية بيضاء كبيرة، أشبه بشيخ حكيم.

هل يتحدث؟! أم يشبه البقية؟! ولكني لم أحادث أي شخص حتى أحكم عليهم بالبكم!

- ما هذا المكان؟ ولماذا تجلس هنا؟ أنت أول هَرِم أقابله هنا؟!

لا أتوقع رد، فلم أرَحتى الآن شخصان يتحدثان في هذا المكان، وكأن الحديث معصية ما!

تطلع إليّ طويلًا قبل أن ينظر إلى الأرض مرة أخرى قائلًا:

- لا أستطيع أن أجيبك على ثلاث أسئلة في جملة واحدة.

- إذًا فلنبدأ بالسؤال الأول، ما هذا المكان؟!

وأنا أشير إلى الكهف..

- هذا المكان يوجد به الأرواح الحبيسة.

- ولماذا تُحبس الأرواح؟!

- لتنال فرصة أخرى.

فرصة أخرى؟! ماذا يعني هذا الكهل؟!

- لكل روح فرصة أخرى إذا استحقت، ولكل روح فرصة أخرى إذا أرادت.

- وما الفارق، مادامت النتيجة واحدة؟!

أعتقد أنني رأيت شبح ابتسامة على شفتيه ولكنه سرعان ما اختفى..

- إذا أرادت الروح فرصة أخرى فلها ذلك ولكن بشروطنا نحن، بينما إذا استحقت الفرصة، لا شروط.

أردت أن استفسر أكثر، ولكنه تركني وذهب، ولم يستجب لندائاتي، حتى أنه لم يجيبني على السؤالين الآخرين!

تقدمت داخل الكهف، تعجبت لماذا لا يوجد حرسًا مادام هناك سجينًا!

ولكن عندما عقلتها وجدت أن الملاك لا يعصى وبالتالي لا مجال لمساعدة أحد على الهرب، وبالنسبة للروح المحبوسة، إذا أُتيحت لها فرصة الهرب، فإلى أين تهرب هنا؟!

بعد دقيقة تقريبًا من السير.. وجدت امرأة تجلس على صخرة وعلى ملامحها الحزن، هيئتها مثلي، إذًا فهي إنسان، أو بالأحرى هي روح إنسان..

عارية الجسد، ولكنه قبيح غير مثير، بالرغم من شبابها، فهو ملئ الجروح، ملطخ بالدماء.

- أأنتِ روح حبيسة هنا؟

تنظر لي في أسى دون إجابة، فتابعت:

- ولكن لماذا لا تخرجين، لا يوجد شئ يمنعك..

اعتقد أنها أرادت أن تقول لي يا أحمق!

- وإلى أين أذهب؟!، ثم إنني ممنوعة من القيام من على تلك الصخرة، نعم لا يوجد رقيب، ولكنهم يعلمون كل شئ، كل حركة..

إذًا هي حبيسة الجلوس على تلك الصخرة! يا له من سجن!

- هل أنتِ ممن يستحقون فرصة أخرى أم أنك طلبتي ذلك؟

- إن كنت ممن يستحقها لماذا إذا أنا حبيسة هنا؟!

سؤال منطقي، ولكن حتى لو كان ممن أرادوا الفرصة الأخرى، لماذا لم تنالها إذًا؟! لماذا هي حبيسة هنا؟!

- حبيسة هنا، لأنني أردت الفرصة الأخرى، ولكنني عندما عُرض عليّ الشروط التزمت الصمت وأردت التفكير قليلًا..

- وما هي تلك الشروط؟!

- ألا أرتكب نفس خطئي مرة أخرى في حياتي الجديدة، وإلا كان العذاب أبديًا لا نهائي..

وما الصعوبة في ذلك؟! لقد علمت خطئها بالفعل، وبالتالي تعلم كيف تتفاداه!

- وما هو خطأك؟!

- أنا زانية، أبيع جسدي برضاي، وأستمتع بذلك..

- إذًا خطأك تعلمينه بوضوح، فما المشكلة في تفاديه؟!

تتطلع إليّ طويلًا، وكأنها تتأكد هل أنا أمزح أم لا أعلم حقًا؟!

- الآن أعلم، ولكنني سوف أبعث لحياة جديدة، في جسد طفل جديد، مع عائلة وظروف جديدة، ولن أتذكر أي شئ مما ممرت به هنا، أو حتى أي شئ من حياتي السابقة، فكيف أثق في أنني لن أقترف نفس الخطأ مرة أخرى؟!

هكذا إذًا الوضع! لقد أدركت الآن حقيقة ذلك السجن، أنت في هذا الكهف، سجين قراراتك، قراراتك السابقة، الحاضرة، وأيضًا قراراتك المستقبلية..

أنت هنا.. سجين عقلك.

***

obeikandl.com

سلمى

منذ أسبوع، قابلت شابًا غامضًا، يتطلع لي أكثر من أن يحادثني، ولكن لا أدري لماذا لم أتوقف عن الكلام حتى بزغ الفجر!

اسمه (هشام)، ويعمل بالمقابر!... كيف لشاب مثله أن يعمل كحارس للجثث؟!

أكره أن أصارح نفسي بذلك، ولكنني بالفعل لا أكف عن التفكير فيه كل ليلة، بل كلما أشرد قليلاً أجد صورته أمامي!

أتوقف عن الكتابة، أغلق مفكرتي وأترك القلم بجانبها.

أنا معتادة على تدوين مذكراتي يوميًا، ولكنني لا أدري لماذا تأخرت في كتابة تلك المعلومة؟!

إنه زوجي بالتأكيد، (أحمد) لو رأى تلك المفكرة، وعلم بأنني جلست أتسامر مع أحدهم لن تمر الليلة على خير.

لا، ليس هذا هو السبب، فمفكرتي بها أسوأ من ذلك بكثير، المدون بها يكفي لأن يقتلني (أحمد) دون أن يغفل له جفن.. أنا فقط خائفة من الاعتراف لنفسي بالحقيقة.

لقد تعلق ذهني بذلك الشاب، وربما قلبي أيضًا!

***

obeikandl.com

أنا الموت يحدثكم...

أنا من لا تراه ولا تشعر به، أنا من يأتيك في غفلة..

ليس لي صانع ولا سيد في دنياكم، ليس لي شكل ولا لون..

أنا مَلِك الدنيا وسيد الآخرة، أنا العدو المنتصر دائمًا..

لا تجادل، لا تحايل، لا تحاول أن تهرب من مصيرك، ربما تهرب من سقطة ما، ربما تنجو من أزمة قلبية أو لسعة ثعبان، ربما بإرادتك القوية تحارب مرضك وتنتصر..

ربما تفعل الكثير، ولكن لا تبتسم فى زهو هكذا، فأنا فقط كنت أرحب بك من بعيد.. لأنني لو اقتربت منك أكثر من ذلك لن يكون هناك رادع، ولا تقلق عاجلًا أم آجلًا..

سوف أقترب..

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

الموت ليس عقابًا..
الموت نتاج للحياة

obeikandl.com

obeikandl.com

عندما قرر (حسام) أن يقتل لم يلتفت إلى جمال تلك الفاتنة العارية على الفراش، لقد ذاق مفاتنها فلم يعد شغوفا بها، ثم أن هذا غرضه منذ البداية، استقطابها إلى غرفته، معاشرتها، ثم قتلها.

يجب أن تعاقب العاهرات، هذا ما يفكر فيه (حسام) يوميًا، لم يقتنع يومًا أن ظرفًا ما من الممكن أن يكون سببًا في بيع الجسد، وأن الفقر والمسئولية ما هي إلا حججًا واهية، لماذا لا تعترف الساقطات بأنهن يرضين شهواتهن وجيوبهن؟!

لماذا لا تعترف الساقطات بأنهن ساقطات؟!

ولكن عقل (حسام) كان دائما يطرح عليه سؤالًا مهمًا، مادمت تراهن ساقطات لماذا تنام معهن قبل قتلهن؟!

لكي لا يظلمهن، نعم (حسام) ينام معهن أولًا لكي يتأكد بنفسه من وقوع الخطأ الذي يستوجب العقاب.

تستيقظ الفتاة، تتثاءب، قبل أن تلاحظ (حسام) واقفًا بملامحه الجامدة يتطلع إليها حاملًا كأسين من النبيذ، فتضحك بدلال وتلقائية، فهذا ما تتدرب عليه، يجب أن تكون مبتسمة دائمًا أمام زبونها، فمن الممكن أن تنال رضاه فيطلبها مرة أخرى.

- كانت ليلة من أجمل الليالي، أنت أروع من عاشرته حتى الأن.

أيضًا تعودت أن تردد تلك العبارة أو مثيلاتها، حتى لو كان الشخص أمامها هو الأسوأ على الإطلاق!

(حسام) يعلم ذلك بالطبع، لذلك تجاهل هذا الإطراء، وناولها الكأس الخاص بها دون أن يبتسم، ثم يتراجع مرة أخرى معطيًا ظهره العاري لها، وكأنه غير مبالي بها.

- اشربي كأسك، ولتذهبي من هنا، باقي حسابك تجدينه أمام الباب.

هي أيضا في الحقيقة لا تهتم به أو لتصرفاته، كل ما كانت تفكر فيه حسابها.

ولكنها لم تدرك أنه فقط يتظاهر بعدم الاهتمام، وأنه يراقبها الآن عبر المرآة، يبتسم عندما شربت الكأس جرعة واحدة.

تقفز من على الفراش، ترتدي ملابسها وتأخذ نقودها وتذهب دون أن تلتفت إليه مرة أخرى، لقد مر يوم عمل مقزز وانتهى، يجب عليها أن تستعد ليوم آخر الأن.

تغلق الباب خلفها لينفجر (حسام) ضاحكًا كالمجنون، فهو يشعر الآن بأنه يد الله في الأرض، لقد خُلق حتى يطهر الأرض من العاهرات.

******

نشأ (حسام) في بيت من العاهرات، حيث لجأت أمه إلى الدعارة بعد موت أبيه في حادث متحججة بظروف المعيشة.

بدأت باستقطاب الشباب الجامعي ليعاشرها هي وبنتيها الصغيرتين، بينما كانت تهتم بتعليم أخوهم الأصغر (حسام)، دائمًا كانت تقول أنه هو من سيخرجهم من ذلك الوحل.

عندما أنهى (حسام) الشهادة الإعدادية، كانت شقة الدعارة أصبحت شبكة كبيرة، يزورها رجال الأعمال الكبار، وكلما كبرت مؤسسة ما، تكثر مشاكلها، والمشاكل هنا ليست مع طلاب أو أشخاص من عامة الشعب، وإنما مع أصحاب البلد ومالكيها، وبالتالي كانت النتيجة موت الأم وبناتها في حادث مدبر، بينما أصيب (حسام) إصابات بالغة.

كان لابد من قتل مؤسسي الشبكة، فسجنهم سوف يفضح الكثيرون.

تعافى (حسام) وأصر على إنهاء تعليمه، ففي قلبه غضب، وفي عقله فكرة واحدة.. لا ليست الانتقام، وإنما هو مقتنع تمامًا أن ما حدث لعائلته ما هو إلا عقاب مستحق على ما اقترفوه من ذنوب، ولكن لماذا نجاه الله؟! فهو كان يعلم ما يفعلون ولا يعترض، بالعكس كان يستمتع بالنقود التي تُنفق عليه!

ظل سنوات يبحث عن الإجابة، حتى وجد نفسه يدرس بكلية الصيدلة،

وانصب اهتمامه على صناعة السموم، سواء تركيبها من عناصر كيميائية أو استخلاصها من الطبيعة، كان الغرض بالطبع هو استخدامه في العلاج، ولكنه لم يهتم بذلك.. إنه القدر الذي علمه تلك الصنعة، القدر يقول له لهذا السبب أنقذتك من الهلاك، دورك يبدأ من الآن، لقد اخطأت أمك، ورأيت بنفسك ثمن ذلك الخطأ.. علمتك كيف تُعاقِب، ولم يبقى سوى التنفيذ، طهر الأرض من العاهرات، الساقطات، طهر الأرض من مثيلات أمك وأختك، طهر نفسك من الذنب، ولا تنسى، أنت يد الله في الأرض.

ظلت الجملة الأخيرة تتردد في عقل (حسام) كثيرًا حتى اقتنع بها تمامًا..

بعد بحث قليل وجد الطريقة الأنسب لتنفيذ عقاب الله على العاهرات، السم الأنسب لذلك، وهو (الريسين) حيث أنه يصعب اكتشافه، ويسبب الوفاة في خلال ٤ أيام، مما يتيح له الخروج من دائرة الشبهات لو تم اكتشاف ذلك، ففي خلال تلك الأيام سوف تتعدد الزبائن وتتوه الوجوه.. هو يبالغ فى الاحتياط، فمن هذا الذي سوف يهتم بموت عاهرة؟!

أخذ يستخرج السم من بذور نبات الخروع، ويصنع لنفسه عبوات بها كمية أكثر من الكمية الكافية لقتل إنسان، وهي (٢٢ ميكروجرام)، ثم يستأجر إحدى العاهرات، فلم تكن النقود عائقًا، وظيفته فى شركة الأدوية يستطيع راتبها أن يتكفل بعاهرتين كل ليلة على الأقل!

ينام معهن، يتأكد من عهرهن، فيد الله لا يجب أن تكون ظالمة، ثم يصنع لها كأسًا من النبيذ القاتل، لتعاقب على عهرها العقاب المستحق، وهو الموت.

***

مراد

(حسام الدين محمود)، في الخامسة والثلاثين من العمر، يعمل بشركة أدوية، ولكنها لا تشغل باله كثيرًا، فهى غطاء لمهمته التي يهئ له أنه مخول بها.

هذا هو ضحيتي القادمة، مرت أمامي حياته كشريط سنيمائي، هذه المرة طلبت أن أدرس ضحيتي جيدًا، فأنا لا أنوي الفشل مرة أخرى.. أرى أن تلك المهمة سهلة، سوف أقتل قاتلًا، الأمر بسيط.. ولكن كيف لي أن أقنع روحه بالقدوم معي، فروحه معتوهة ترى نفسها تابعة لإرادة الله ومنفذة لأحكامه؟!

تفعل الروح ما تريد، فأنا لن أعود بدونها هذه المرة، مهما كان الثمن.

غدًا هو موعد اللقاء، لم تحدد لي ساعة موته، وهذا غريب!، فأنا أملك طوال اليوم، ٢٤ ساعة، هل سوف تُكتب ساعة نهايته بعدما أقتله؟! أليس من الطبيعي أن تكون ساعته محددة من البداية، وأنا مجرد أداة لتنفيذ المكتوب؟!

لا أدري، ولا أهتم، فكل ما أمر به عجيب ومختلف عما كنت أقرأه في الكتب من قبل.

غدًا سوف يرتكب (حسام) إثمًا بعيدًا عن طريقه الذي اختاره، سوف يقتل شاهدًا، صديقة إحدى الفتيات العاهرات اكتشفت تورط (حسام) في قتل صديقتها، ولكنها بدلًا من إبلاغ الشرطة، قررت أن تساومه، لقد ماتت صديقتها وانتهى الأمر، لماذا لا تستفيد هي من موتها؟!

obeikandl.com

ولكنها لا تعلم أنها تتعامل مع شيطان حقيقي، والشيطان لا يساوم، من الممكن أن يهئ لك أنه متعاونًا حتى النهاية، ولكن صدقني الشيطان لا يساوم أحد.

ولذلك، قرر (حسام) أن يقتلها غدًا، هيا أيها الفاني، فلتفعلها وتأخذ دور الإله وتنهي حياتها في الوقت الذي حددته أنت، ثم بعدها، سوف أثبت لك أنك واهم، هذا الوقت الذي وضعته هو من صنعنا نحن، نحن من نخلق النهاية، نحن المتحكمون بالموت وليس أنت أيها الفاني..

نحن.. آل عزرائيل.

***

obeikandl.com

هشام

تعددت زياراتها، وكانت دائمًا في المساء، تأتي (سلمى) وتجلس أمام قبروالدها، لا تناجيه أو تتحدث إليه، وإنما تنتظرني حتى آتي وأجلس جوارها، لا اتحدث كثيرًا ولكني استمتع بحديثها، غالبا يكون حديث بلا فائدة، حديث لمجرد إضاعة الوقت حتى بزوغ الفجر.

تعودت عليها، انتظرها إسبوعيًا الأن، أشعر بالقلق إذا تخلفت عن موعدها، نعم أشعر بالقلق الآن!

هذا الإسبوع الثاني ولم تأتِ، كيف يمر شهران على نفس الوضع دون أن آخذ رقم هاتفها؟!

كم أنا غبي، لا إنه الكبر، أنا لا أريد الاعتراف بحبي لها، ولذلك هيأت لنفسي عدم الاهتمام، ما فائدة أن أتحدث إليها على الهاتف كل يوم بالساعات، ما المشكلة إذا تأخرت، لماذا القلق؟! فأقسى ما يمكن حدوثه لها هو الموت!، وأنا أعلم جيدًا أن الموت آت لا محاله، أنا أعرف الموت.

حاولت أن أخفف قلقي باصطناع اللا مبالاة، ولكني لم أدرِ بنفسي إلا وأنا في السيارة المتجهة إلى القاهرة، لقد قررت أن أذهب إليها، لا اعتقد أنه من الصعب الوصول إلى مستشفى (العمري).

فور وصولي إلى مقر المستشفى، سألت الاستقبال عن دكتور (سلمى العمري).

- د.سلمى في غرفة العمليات الآن، بإمكانك انتظارها هنا في الاستقبال.

كان الانتظار في الاستقبال مملًا، فتحركت إلى المدخل الذي يوصلني إلى غرفة العمليات، لأجد سيدة مسنة تتحرك ذهابًا وإيابًا، تبكي وهي ترفع يدها إلى السماء لتتلو بعض الأدعية.

جلست اتطلع إلى السيدة تارة وإلى الباب المؤدي إلى حجرة العمليات تارة أخرى، التفتت إليّ السيدة العجوز سائلة:

- ألم يخرجوا بعد؟

الباب لم يُفتح!، لماذا تسأل إذًا؟!

- أعتقد أنهم مازالوا بالداخل..

ثم أشير إلى الباب متابعًا:

- لو خرج أحد لرأيناه..

تصمت السيدة قليلًا قبل أن تتابع:

- لا يا بني، لقد خرج الكثير من حياتي دون أن أراهم، وأخاف أن يخرج ولدي أيضًا.

أنا أتحدث عن باب الممر الصغير، وهي تتحدث عن باب الدنيا!

لا تقلقي سيدتي، كلنا سوف نخرج من ذلك الباب، فلا داعي للبكاء... لم أقل لها ذلك، فضلت الصمت والنظر إلى الفراغ، بينما هي عادت إلى نحيبها.

بعد ساعة من الانتظار، خرجوا بالشاب فائد الوعي ممددًا على محفَّة، تدفعه إحدى الممرضات، وخلفه (سلمى) في زيّ العمليات، ويتضح على وجهها علامات التعب.

لم تلحظني، لأن السيدة العجوز انطلقت نحوها فور ظهورها، لم تتحدث، وإنما نظرت إليها في تضرع، وكأن (سلمى) هي من يتحكم في موت أو حياة إبنها.

- لا تقلقي يا أمي، ابنك بخير.

تتنهد الأم ويزيد بكائها، لكن هذه المرة بكاء فرحة، وأخذت تردد وهي تشاهد الممرضات وهم يدخلون ابنها إلى غرفة أخرى:

- حمدًا لله، أشكرك يا الله، لقد ذهب كل من حولي ولم يبقَ لي سوى ابني، كنت أعلم أنك لن تأخذه مني، فهو لم يفعل شئ يغضبك، شكرًا لك يا الله.

ظلت السيدة العجوز على هذا المنوال، بينما انتبهت (سلمى) لوجودي..

- هشام؟! ما الذي أتى بك إلى هنا؟!

قالتها وهي تقترب مني مندهشة:

- جئت لأراكِ، لم تأتِ لإسبوعين متتاليين!

- أقلقت عليّ؟

أرى تلك الابتسامة التي اتسعت، فهي تقف على مسافة متر واحد أمامي، وفي الحقيقة هي لم تحاول إخفائها.

أشعر الآن أنني بورطة، نعم أنا قلقت عليها، ولكن ما معنى هذا بالنسبة لها على الأقل؟!

كدت أن أجيب بأي شئ يأتي بذهني، ولكن أنقذني صوت الممرضة التي خرجت من الغرفة التي انتقل إليها المريض منذ لحظات قائلة بذعر:

- دكتور (سلمى)، لقد توقف قلب المريض فجأة، اعتقد أنه فارق الحياة..

في ثانية واحدة، اصبح الصمت هو المسيطر، وكأن الزمن قد توقف، السيدة العجوز توقفت عن الدعاء وتتسع عيناها في رعب، (سلمى) تسمرت مكانها من المفاجأة، ولكنها كان أول من تحرك، حيث هرولت إلى الحجرة لتحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

أما أنا، تطلعت إلى العجوز مبتسمًا، لا أعلم لماذا ابتسم، ربما لأنني أدرك جيدًا أن ما كانت تردده العجوز ما هو إلا هراء..

لا يوجد سبب للموت يا سيدتي، هو لم يأخذ روح ابنك لأنه يغضبه، وإلا كان هناك أُناسٌ خالدة، وحتى موت ابنك لن يكون سبب في موتك الأن، عندما تخرج (سلمى) وتقول لكي بكل أسى (البقاء لله).. سوف تموتين، أرى ذلك في عينيكي، بلا أسباب، سوف تموتين.

***

سلمى

قررت أن أسيطر على عواطفي، فأنا سيدة متزوجة، ولذلك هذا هو الأسبوع الثاني على التوالي لم أذهب إلى المقابر وأرى (هشام)، في الأسبوع الأول كان القرار صعبًا، ترددي كان واضحًا، في الأسبوع الثاني لم يختلف الأمر كثيرًا، ولكنه أصبح أقل صعوبة، ولكن تفكيري في شخصه طوال الأسبوعين لم يقل ولو ذرة حتى رأيته..

كانت مفاجأة غير متوقعة لي، في نهاية يوم ملئ بالعمل، وأمام غرفة العمليات بالمستشفى، وجدته أمامي، تمالكت نفسي وأحجمت سعادتي، ولكن السعادة لا تكتمل معي أبدًا، حيث توفى المريض الذي كنت أقوم له بالعملية، لا أعرف كيف!، لقد أنهيت العملية بنجاح وكان المريض في أحسن حال، وتم نقله إلى غرفته مغشيًا عليه تحت تأثير البنج، ثم فجأة توقف قلبه عن النبض دون سبب واضح! ليس هذا فقط، وإنما ماتت أمه عندما سمعت الخبر، بعد أن اطمأنت على سلامته ونجاته، يموت!، ما أصعب الصدمة بعد انتعاش الأمل.

بالطبع عندما عدت إلى مكان (هشام) مرة أخرى لم أجده، اعتقد أنه شعر بالحرج، وخشيت أن يكون من الناس الذين يؤمنون بالفأل، فيعتقد أن وجوده كان سببًا فيما حدث بطريقة ما، وخاصة أنه يعمل كحارس للمقابر.

لم انتظر إلى اليوم التالي، وإنما في المساء من نفس اليوم، ذهبت إلى المقابر لأجده واقفًا بالخارج وكأنه ينتظر قدومي!

- لماذا تقف بالخارج؟!

يبتسم وهو ينظر إلى عيني مباشرة قائلا:

- أنتي تعلمين أنني انتظرك..

إذًا، بالفعل هو ينتظر قدومي!

عرض عليّ احتساء كوبًا من الشاي في مضجعه، لا أعلم لماذا وافقت، ولكني كنت أريد حقًا أن أرى غرفته، يقولون أنه يمكن معرفة الشخص جيدًا من رؤية أشياءه.

خاب أملي كثيرًا، لم يكن في غرفته ما يثير، غرفة واحدة، بها حمام، وموقد صغير أو ما يسمى بـ(وابور الجاز)، وفراش، وهذا أعجب ما في الغرفة، حيث أنه كان مرتب لا يوجد به كسرة، في الحقيقة، الغرفة كلها مرتبة ونظيفة، وهذا غريب بالنسبة لرجل أعزب!

جلست على طرف السرير، لم يكن هناك مكان أخر يصلح للجلوس، بينما يجلس هو على الأرض ليحاول إشعال الموقد..

- لماذا أتيت، ثم ذهبت فجأة؟!

أخيرًا يشعل النار على براد الشاي بعد معاناة، لقد انقرضت تلك الأدوات!

- اعتذر أولًا عن قدومي دون سابق موعد.

وهل أنا كنت آتي بموعد؟!، لم أعلق وإنما تركته يتابع:

- ثانيًا، اعتذر عن ذهابي المفاجئ، ولكني وجدت الوقت غير مناسب، وتسارع الأحداث جعلني أعتقد عدم تفرغك لي ولو قليلًا..

ابتسمت في سخرية، كلامه يناقض موقفه منذ قليل!

- تذهب لانشغالي، ثم تنتظر قدومي أمام مقابرك؟! كيف يعقل ذلك؟!، كيف أكون مشغولة وفي نفس الوقت تعلم أنني سوف آتي إليك؟!

انتهي من صنع الشاي ثم ناولني الكوب الخاص بي، وأجاب بينما يتطلع

إلى عيني مباشرة بنظرة لم أرها من قبل، نظرة حب حقيقي، جعلتني لا أشعر بالموجودات حولي:

- أنا لم أعلم بقدومك، ولكني كنت.. كنت أتمنى ذلك..

في تلك اللحظة، لم أشعر بالكوب الذي سقط من يدي، أو حتى بلفيح الماء الساخن على فخذي..!

***

obeikandl.com

يجلس (حسام) ليلًا في إحدى الحدائق، بعد أن قتل تلك الشاهدة، لقد كانت عائقًا لتنفيذ مهمته المقدسة، ثم إنها ليست بريئة وإنما هي تستغل موت صديقتها في كسب المال، وبالتالي فهي حقيرة تستحق الموت.

هذا ما كان يحاول أن يقنع به نفسه، خاصة أنه أغراها لتنام معه قبل قتلها، حتى لا يشعر بالذنب، ولكنها أبت ذلك، لماذا تساوم بجسدها طالما تستطيع المسوامة بدونه؟!

ولكن خطئها الوحيد أنها لا تعلم كيف فعل (حسام) جريمته؟!، كل ما كانت تعلمه هى مقابلة (حسام) لصديقتها واتصالها بها بعدها لتخبرها أنها تموت من الألم، وتشعر أن (حسام) سببًا في ذلك.

حاولت بعد ذلك أن ترهب (حسام) وتشعره أنها تعرف شيئًا ما، وإن كان له يد بالفعل في قتلها، سوف يقلق من تدخل الشرطة، وبالتالي يسهل مساومته، وهذا ما حدث بالفعل، ولكنها لم تتوقع مطلقًا أن تكون هي ضحيته التالية.

- غبية.

قالها (حسام) بضيق واضح، فهو لم يكف عن التفكير في أن تكون تلك الجريمة هي ذنبه الوحيد، ولكنه يعود مرة أخرى بحجة أخرى تقنع ذهنه المريض، أنها كانت تستحق الموت!

قرر العودة إلى منزله سيرا على الأقدام، وفي ظل شرود ذهنه، لم ينتبه لتلك السيارة المنطلقة سريعا اتجاهه وهو يعبر الطريق، وعندما انتبه كان وقت التصرف قد فات.

وحدث الاصطدام.

***

مراد

حان وقت اللعب، عندما تصطدم به تلك السيارة سوف انقض أنا، فرصة مثالية لأخذ الروح، فعندما يتهالك الجسد يصعب عليه التمسك بمحتواه.

وبالفعل، ارتطمت السيارة بـ(حسام) لتطيح به عدة أمتار، مع صوت صرخة ألم منه ممتزجة مع صوت احتكاك الإطارات.

تمدد جسد (حسام) على الأرض ساكنًا وسط بركة من الدماء، بينما تجمهر الناس حوله..

هذا بالنسبة للجسد، بينما روحه كانت واقفة تنظر إليَّ، أنا فقط أراها، وهي فقط تراني..

- من أنت؟!

قالتها الروح لي، ثم تنظر إلى جسدها الملقى على الأرض متابعة:

- وماذا حدث لجسدي؟

ابتسم قائلًا بهدوء:

- جسدك تهالك أيتها الروح، وأنا حاملها الجديد.

- ولكنني أحب جسدي.

تلك الروح الغبية لم تفهم بعد أن دورها هنا قد انتهى!

- لا يوجد مجال للاختيار الأن، لقد مات جسدك، وأنا عزرائيل، جئت لحملك إلى ربك.

obeikandl.com

تقول الروح غاضبة، وقد استوعبت الأمر:

- تقصد جئت لقتلي!، لماذا؟! ألم أكن أنا يد الله في الأرض؟!

بدأ الآن الجدال، يجب أن أكون حكيمًا في ردودي تلك المرة، لا أريد الفشل.

- الله لا يا يحتاج إلى يدٍ له في الحياة تنفذ عقابه، فهو من يعاقب وهو من يحاكم، وهو أيضًا من يشفع.

- ولكن في الأرض حكومات تنفذ هي العقاب؟!، أكلهم على خطأ؟!

توقعت أن تكون تلك الروح فريسة سهلة، ولكنها أصعب مما تصورت.

- ينفذون العقاب بأحكام وضعها الله.

- ولكني خولت من الله لتنفيذ العقاب، وقد أراني الله عقابه لأمي وأخواتي عندما قتلهم، لقد رأيت الإشارة، ونفذت التعليمات، فلا تعاقبني الآن على واجبي ودوري الذي خُلقت من أجله.

أخذت أفكر قليلًا، روح الإنسان عنيدة، لا تعترف بخطئها مهما كان، لا تستجدي عطفك، ولكنها تنكر تصرفها الخاطئ وتلومك أنت على خطئك.. علمت الآن لماذا كانت روح القطة هى الأسهل فى اختباري.. ولكني لن أيأس، سوف أعود إلى عزرائيل ومعي تلك الروح.

كدت أتابع المجادلة ولكن فجأة، اختفت الروح من أمامي، واختفى منظر الجثة على الطريق، وتفرق الناس!

عندما اجتمع مع الروح يتوقف الزمن بالنسبة لنا، ولكنه مستمر فى الحياة، لقد تم نقل جسد (حسام) إلى المشفى منذ ساعات.

والأن.. فرت مني الروح.

******

عدت إلى أرض عزرائيل والغضب يعتريني، كيف للروح أن تذهب دون أن أسمح لها بذلك؟! أليست هي ملكي فور وصولي إليها؟!

- روح الانسان تختلف عن روح الحيوان، فهي متمردة عنيدة، لا تستطيع السيطرة عليها لمدة طويلة، فيجب عليك أن تكون سريعًا واثقًا متقنًا لعملك، ولذلك أعطيتك يوم كامل لأخذ روح إنسان، وليس ميعاد محدد، والأن لا تضيع الوقت، لم يتبقَ سوى ست ساعات فقط وتنتهي المهلة..

لماذا لم يقل لي (عزرائيل الكبير) هذا الكلام قبل الآن؟! ولكن لا وقت الآن للجدال.

ذهبت مسرعًا إلى المستشفى لأجده فاقد الوعي، ممددًا على الفراش، إصابات في رأسه، وقدمه بالجبس، ولكنه تجاوز مرحلة الخطر، لم يأتِ لزيارته أحد، فليس له قريب أورفيق، فقط تمر الممرضة كل حين للاطمئنان عليه..

- أنت مرة أخرى؟! أنا أرفض القدوم معك، أنا لا أستحق الموت، يد الله لا يجب أن تموت.

لماذا لا تُكبل الروح وتُأخذ عنوة؟! لماذا نسايسها؟!، حقًا لكل وظيفة عيوب، أم أنني فقط افتقر للخبرة؟!

- بل، أنت تستحق الموت، إن كنت تظن أنك تنفذ أحكام الله في العاهرات، فما ذنب ضحيتك الأخيرة، فهي ليست عاهرة؟!

توترت الروح قليلًا، فأنا أعلم أنها حائرة فى تصرفها هذا، وتحاول إقناع نفسها بشرعية فعلها هذا..

- بالفعل هي ليست بعاهرة، ولكنها كانت تعيقني في تحقيق العدالة.

- إذا كنت مقتنعًا أنك تحقق العدالة -وهذا غير صحيح- فلا يصح تحقيقها على حساب ظلم شخص أخر، لقد أخطأت، وهذا عقاب لخطأك.

تبكي الروح المجسدة أمامي في شكل جسد (حسام)..

- لقد أضعت عمري في خدمة خالقي، وعند أول خطأ، أعاقب بالموت؟!

اتسعت ابتسامتي أخيرًا، من الواضح أنها بدأت تستسلم لمصيرها..

- لا تحسبها من هذا المنطلق، وإنما من الممكن القول بأن دورك قد انتهى هنا، ومثلما نعاقب الآثمين، لابد من معاقبة الأخيار.. ففي الحياة، مهما كنت تقيًا خيِّرًا، أو تظن ذلك، فأنت فى النهاية آثم تستحق الموت..

لم تتكلم الروح، وإنما زاد بكائها فأصبح نحيب، حسنًا، هذا إذًا يوم سعدي، أستطيع الآن أن أحتفل بنجاحي، وأن أقول بثقة أنني أصبحت واحدًا من أهل المدينة..

مدينة عزرائيل.

***

obeikandl.com

هشام

لا أعلم حقًا لماذا قلت لـ(سلمى) هذا الكلام (كنت أتمنى أن تأتي) ؟! ليس هذا فقط وإنما شعرت بنظرتي لها، لقد سرحت فى عينيها، وتسارعت دقات قلبي، وعندما سقط الكوب وتطاير بعض الماء الساخن على فخذها لم تتحرك أو تشعر بالألم إلا بعد لحظات، يبدو أنها قرأت ما يدور فى عيني، وشعرت بما بفيض به قلبي.. ثم أحست بالألم وتأوهت وهي تقف وتحاول إبعاد البنطال الملتصق بفخذها.

في الحقيقة لم أعرف كيف اتصرف!، فبدون وعي وتصرف سريع، ذهبت إليها وساعدتها في خلع بنطالها، ولم تبدِ أى اعتراض على ذلك، فالألم كان أكبر من الحفاظ على حيائها.

يبدوا أنني تطبعت كثيرًا بعالم البشر وصفاتهم الإنسية، هناك شعور غريب اجتاحني عندما رأيت ساقيها العاريتين، وخاصة عندما لمست يداي فخذها المحروق، حاولت غسله بالماء، فلا يوجد عندي غيره لمداواتها.

هذه هي المرة الأولى التي أجرب فيها هذا الشعور، وخاصة الجزء السفلي من جسدي، فالأعضاء التناسلية جديدة بالنسبة لتركيب جسدي الذي اعتدت عليه.. لقد كبر حجم ذلك الجزء الجديد!

يبدو أنها لاحظت ذلك، فوجنتيها قد احمرتا وأصبحت بلون الجزء المحروق بفخذها، مما جعلني أتراجع وأبعد يدي قائلًا وأنا أحاول أن أبعد نظري عنها:

obeikandl.com

- أعتقد أنكِ بخير الأن.

ولكني وجد يدها تتمسك بيدي لتعيدها مرة أخرى إلى فخذها..

- لا تبعد يدك، أشعر بالراحة عندما تلمس أناملك فخذي.. أقصد مكان الحرق.

لا أعلم هل الإنسان هو الضعيف، أم أن ما يواجهه أقوى من أن يتحمله؟! فنحن كعزرائيل لم ولن نواجه مثل هذا الموقف، فلا يوجد هناك نساء أو أعضاء تستجيب لمفاتنهن، وبالتالى لا أستطيع أن أحكم على أمثالنا بقوة الإرادة والإيمان على عكس الإنسان، ربما لو وضع واحد منّا مكان الإنس بنفس الظروف لأخطأ هو الأخر.. ولماذا ربما؟! أنا الآن بالفعل أعيش التجربة، وكان بإمكاني أن أتراجع، ولكن من هذا الذى يتراجع أمام تلك السيقان؟!

وكانت تلك هى أول خطيئة لي منذ أن أصبحت إنسانًا!

ولكن من قال أن تلك خطيئة؟! أنا فقط استمتع بما أُتيح لي، لو كان معاشرتي لمن أحب خطيئة، فإن ذلك ليس بخطأي، وإنما خطأ الحياة وطبيعتها، وإن كنت مخطئًا بالفعل..

فأنا الآن إنسان، وكل إنسان خطاء..!

******

مرت أسابيع، ولم تنقطع (سلمى) عن القدوم أسبوعيًا، هذه المرة ليس للحديث فقط، وإنما لنقضي الليلة سويًا في فراشي الذي كان دائما مرتبًا فأنا أنام يوميًا بأحد المقابر الموجودة، ولا أنام على الفراش سوى معها فقط..

- ألا تشعر بالغيرة؟

فاجأتني في أحد الليالي بهذا السؤال!

غيرة؟! مشاعر الحب جديدة بالنسبة لي، ولا أعلم شيئًا عما يسمى بالغيرة!

اكتفيت بالنظر إليها وإلى جسدها العاري لتتابع:

- أنا امرأة متزوجة، وكل ليلة تقريبًا في أحضان زوجي، أعامله في السرير كما أعاملك، أداعبه ويداعبني، ألا يضايقك ذلك؟!

شعور التملك لم يصل إلى مشاعري بعد! ولكن ما هى الإجابة التي يجب أن أقولها؟!

- بالتأكيد أشعر بالغضب، ولكن ماذا استطيع أن أفعل؟!

الكذب، صفة أخرى اكتسبتها الأن!

تعتدل هي على الفراش وتنظر إليّ باستنكار قائلة:

- ماذا تستطيع أن تفعل؟! تطلب مني أن انفصل عن زوجي، أو على الأقل ألا أعاشره!

أعتدل أنا الأخر..

- إذًا فلتنفصلي عن زوجك إن استطعتي، أو على الأقل لا تعاشريه..

تخرج سيجارة من حقيبتها وتشعلها.. كيف لطبيب يعلم جيدًا ضرر السجائر وينصح بتجنبها، ومع ذلك يدخنها بنفسه!

عجبًا لي أنا!، أصبحت أفكر بسطحية!، أنا أعلم جيدًا أن السجائر وغيرها مجرد أشياء تضعف الوعاء الذي يحمل أرواحنا فيسهل على عزرائيل أن يخرج الروح منه، ولكنها ليست السبب في قتلنا! اعتقد أن تفكيري يتحول إلى تفكير بشري تدريجيًا.. وما العجب في ذلك، فأنا بشري الأن..!

- ليس من السهل الانفصال عن (أحمد)، فليس ما يربطني به عقد الزواج فقط، وإنما أعمالنا وأموالنا كلها مشتركة، وحقيقة لا أريد الخروج من تلك العلاقة خاسرة.

- وبالنسبة لمعاشرته؟

- لقد توقفت العلاقة الحميمية بيننا منذ زمن، كنت فقط أحاول إشعال نار الغيرة في قلبك.

سألتها دون اهتمام حقيقي، وإنما لجذب الحديث وقتل الملل الذي أشعر به بعد العلاقة الجنسية:

- لماذا؟، هل هناك مشاكل بينكما؟

تنفس دخان سجارتها متنهدة، وكأنها تستعيد ذكريات أليمة..

- العلاقة منذ البداية لم تكن علاقة حب، لقد تزوجنا لأن لكلٍ منا عائلة ثرية ومركز مرموق، وكما يقولون دائمًا، الطبيب يتزوج من طبيبة.. والعشرة بعد ذلك لم تغير شئ، ظلت علاقتنا تبنى على كيف نجمع المال، كيف يعلو اسم (العمري)، والعلاقة الجنسية ما هي إلا إشباع للرغبات، حتى ملت الرغبات واكتفت بوحدتها..

صمتت قليلًا لتنظر إلى ملامحي، كانت تتوقع أي انفعال ولكن خاب أملها أمام وجهي الجامد، فنظرت أمامها مرة أخرى متابعة:

- لقد أحببتك، وهذا هو الحب الأول بالنسبة لي، طالما كنت اعتقد أن الحب ضعف، وربما هو كذلك بالفعل، ولكني أحب الضعف في وجودك.

- أنا أيضًا أحبك، ولا يمكنك التخيل كم هذا الشعور جديد بالنسبة لي.

ابتسمت أخيرًا، وهي تتطلع إليّ مع قليل من الصمت..

- هل تريد الزواج مني؟

كان السؤال مفاجئًا، منذ أن كنت أراقب حياة البشر قبل موتهم، وأرى الحب وكم هي الحياة جميلة بالنسبة للعاشقين، ثم تأتي تلك الورقة التي تهدم ذلك الحب تدريجيًا حتى تتحول الحياة إلى كابوس يسمى الروتين!، الزواج هو روتين بشري لابد أن يمر به الإنسان في وقت ما.

- لا أعلم حقًا، كل ما أشعر به هو السعادة في قربك..

لم تتحدث هذه المرة، وغلف الصمت الوقت الباقي من اللقاء، أعتقد أن إجابتي قد أصابتها بالإحباط.

***

تمتلئ غرفة (حسام) بالممرضات وبعض الأطباء الأن، لقد توقف قلبه فجأة، وظل كذلك لمدة تقرب من عشرين دقيقة كاملة أو أكثر، حيث أعلنت وفاته بالفعل.. وعندما عاد للحياة مرة أخرى، عن طريق شهقة عالية، كانت مفاجأة بالنسبة لكل من بالغرفة، بل لقد أسموها بالمعجزة.

مريض الغرفة (٢٣) قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بعد الموت!

ترددت تلك العبارة سريعًا بكل أنحاء المستشفى، وأصبحت الغرفة (٢٣) مزارًا للممرضين والممرضات، وأيضًا لبعض من الأطباء.

بينما يتسامر الأطباء فى الغرفة حول السبب العلمي لتلك الحالة، كان (حسام) شاردًا في عالمه الخاص.

إنه يذكر عندما صدمته السيارة أن أحدٍ ما تحدث معه عن موته، لا يذكر الحديث وإنما يعلم يقينًا أن الحلم عن موته هو، ثم منذ قليل، فهم من همسات مَن حوله أنه قد توفى بالفعل!

هل في ذلك الوقت قابل عزرائيل بالفعل؟! أم أنه مجرد حلم مثل غيره؟!

في الحالتين هو تلقى رسالة، لقد كان يعيش على خطأٍ، هو ليس يد الله، الله لا يحتاج يد تعاقب مكانه، وكل من قتل ذنبه في رقبته هو!

لقد أخطأ وكان يجب عقابه بالموت، إذًا لماذا يعود للحياة مرة أخرى؟! هو لا يستحق العيش.

حتمًا هي فرصة أخرى، ولكن ماذا سوف يفعل بها؟!

هو لا يعرف سوى القتل، يعيش حياته لتطهير العالم من العاهرات، لو كان هذا هو طريق الخطأ، ماذا سيفعل إذًا؟!، ما دوره فى تلك الحياة البغيضة؟! أم أن دوره قد انتهى بالفعل؟!

تصارعت الأفكار في رأسه حد الانفجار، يتطلع إلى الغرفة ليجد الجميع مشغول بشئ ما، لا أحد يراه، ينظر إلى الجهة الأخرى ليجد عدة طبيب موضوعة على المنضدة..

يلمع في عينيه البريق المعدني لمشرط الجراحة، يلقي نظرة أخرى إلى الناس بالغرفة..

لا نستطيع الحياة بدون دور لنا بها، فما بالك إن سلكت دورًا زائفًا؟

***

obeikandl.com

مراد

- لماذا عادت الروح مرة أخرى؟! كيف فشلت؟!

قلتها غاضبًا، هذا كان رد فعلي عندما علمت بفشلي في إحضارروح (حسام)، بالرغم من أنني جئت بها قبل الميعاد المحدد لي، ولكن (عزرائيل الكبير) قال أنني فشلت، وأعاد الروح إلى جسدها مرة أخرى.

غضبت وتذمرت، لقد فعلت ما كان واجبًا عليّ، ولكن بطريقة خاطئة.

هذا ما أوضحه لي (عزرائيل الكبير)، لقد أقنعت (حسام) أنه يُعاقب بالموت على ما اقترفه من أخطاء، ولكن الموت ليس بعقاب، وإنما هو شئ طبيعي يحدث لكل روح حتى أرواحنا نحن كعزرائيليين نموت.. إذًا فالموت ما هو إلا تطور طبيعي للحياة التي نحياها، فكيف لموكل بأخذ الروح أن يخدع ويضلل؟!

عادت الروح مرة أخرى، وفشلت أنا في مهمتي، ولكن كانت هذه مهمة سهلة بالنسبة لي، وبالفعل كانت الروح في يدي!، ولذلك رفضت الفشل..

- اعطني فرصة أخرى، أستطيع أخذ تلك الروح، صدقني أستطيع.

قلتها مترجيًا (عزرائيل الكبير) الذي بالفعل أخذ يفكر قليلًا، قبل أن يقول:

- سوف أعطيك ساعة واحدة، ولكن..

صمت قليلًا ليشاهد رد فعلي، كنت متشغفًا لمعرفة الشرط، فلم اعترض أو اتحدث لكي لا يعطلنه حديثي عن المتابعة، فتابع:

- ولكن إن لم تحضرها لن يكون هناك اختبارات أخرى، ولن يكون مرحبًا بك في مدينة عزرائيل..

- أوافق، إن لم أحضر تلك الروح فلا استحق أن أكون عزرائيل..

ابتسم وتابع:

- وإن أحضرتها، سوف تتغير الشروط قليلًا، سوف تكون مجبرًا على النجاح في الاختبارات القادمة كلها، ولا تكفي واحدة منهم فقط لتكون عزرائيل، وهذا يشمل إضافة روحًا أخرى بدلًا من التي فشلت في احضارها سابقًا، مما يعني أنه سوف يكون أمامك أربعة أرواح، وليس ثلاث..

ماذا؟!، هذه مغامرة غير مضمونة، إن لم أقبل بها، لن أخسر شئ، فأمامي ثلاث اختبارات أخرى، يكفيني النجاح بواحدة فقط!.. ولكن أنا لم أتعود الفشل، فما بالك بالفشل مرتين متتاليتين!

قبلت التحدي، وأنا الآن عائدًا إلى (عزرائيل الكبير) مرة أخرى وفي يدى روح (حسام) للمرة الثانية، ففي أقل من ساعة، استطعت بكل سهولة أن أقنع تلك الروح البائسة -وبدون خداع- أن تأتي معي وتترك وعائها عن طريق ما يسموه البشر بالانتحار.

فرحت بهذا النصر، ولكني بسببه ألقيت على كاهلي عبء جديد، يجب عليّ قتل أربعة أنفس، دون أن تفلت واحدة، في موعد محدد لا يجب أن أتخطاه.

من الآن، لا توجد فرصة ثانية.

***

أنا الموت ينجيكم...

أنا لست بعقاب..

أنا طوق النجاة من دنياك..

مهما كان عملك، مهما كان خيارك.. أنا قادم لا محال..

لا مهرب مني..

سوف آتيك لأنني لابد أن آتيك..

لا مهرب مني..

إن كنت تقيًا أو شريرًا.. إن كنت عالمًا أو محتالًا..

أنا لست نتاج ما تفعل..

أنا نتاج حياتك..

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢)

عندما لا تهاب الموت
سوف تكون ميتٌ بالفعل!

obeikandl.com

obeikandl.com

سلمى

لن نتزوج، أعلم هذا جيدًا، لقد كان واضحًا في عينيه، نحب بعضنا لغرض الحب فقط، بالرغم من أن علاقتنا لم تتعدّ الجنس، فنحن نتقابل لنتعاشر ليلًا ثم أذهب.

الأجواء كئيبة بالفعل، فنحن نتقابل في المقابر!، ولكني سعيدة لوجودي جواره، ثم إنه أنسب مكان للقاء دون أن يلاحظ (أحمد)!

عندما سألني أن أترك زوجي، أجبت نصف إجابة، فلا استطيع توقع رد فعله إن علم الإجابة كاملة، يكفيه الآن علمه بأننا -أنا وزوجي- مشتركين في أمور مادية فقط، وربما أبوح له ما في نفسي لاحقًا.

الأهم الآن، كيف لي التخلص من (أحمد)؟!، نعم، أعلم أنني لن أتزوج من (هشام) ولكن لابد من التخلص من زوجي لكي أتحرك بحرية، هو لا يغير عليّ، لا يحبني، ولكنه يعشق نقودي، يهتم بمظهره أمام المجتمع، والناس المرموقين مثله ومثلي لا يجوز لهم أن يحملوا لقب (مطلق)، وفي نفس الوقت لقب (خائنة) أو (زوج الخائنة) يدمر أسم (العمري) حد التلاشي..

الحل الوحيد الذي يدور بخلدي هو الموت، (أحمد) يجب أن يموت، في تلك الحالة لن أخسر ثروتي، بالعكس سوف تضاعف، وفي نفس الوقت أفوز بحريتي.. ولكن كيف؟!

(أحمد) ليس غبيًا، من الصعب التخلص منه، وخاصة أنه لا يثق بي، كان دائمًا يقول لي (من تقتل والدها لأي سبب كان، من الممكن أن تقتل زوجها لأتفه الأسباب)!

كنت أتعجب منه، أكرهه أكثر، فهو من أقنعني بوجوب التخلص من أبي، صحيح هو لم يشترك في الفعل، ولكنه صاحب الفكرة، هو من رسخ في عقلي مدى خطورة أبي على عملنا، ولقد كان محقًا في ذلك، وبالتالي قمت بقتله، وهذا بالمناسبة هو ما يربطني بزوجي وأرفض البوح به لـ(هشام)، ماذا سوف يكون رد فعله عندما يعلم أنني قاتلة أبي؟!

هل سوف يفقد الثقة بي هو الأخر؟!

حسنًا، إن كان (هشام) سيصير عشيقي، بل هو عشيقي بالفعل، فلابد من عرض الأمر عليه، ربما تتوضد علاقتنا بجريمة ما.. مثلما حدث مع (أحمد).

لكن الفرق أن العلاقة مع (أحمد) علاقة مال.. أما تلك، فهي علاقة حب.

***

هشام

الإزعاج هو أن تجلس في إحدى الكافيهات لغرض الاستجمام، حتى لو كان المكان شبه خاليًا وتنتشر الموسيقى الهادئة في الأجواء!

من لم يجلس بالمقابر رفقة الأموات، لم يعرف الهدوء.

أنا الآن أجلس على أحد مقاعد الكافيه بوسط البلد، أنتظر (سلمى)، هذه هي المرة الأولى التي أخرج فيها بغرض التجول، فأنا أعيش في المقابر طوال ساعاتي، إلا لو كانت هناك جثة ما مطلوب مني تغسيلها.

الوجوه حولي مختلفة عما كنت أرى، فوجوه عزرائيل جامدة تخلو من أي مشاعر، لأن المشاعر بالنسبة لنا تختفي تدريجيًا حتى تقتل تمامًا.. مازلت حتى الآن أحتفظ بذلك الوجه الجامد!

الوضع هنا يختلف عما أراه في المقابر، فالوجوه هناك كلها باكية، حزينة، أما هنا -في ذلك الكافيه- وجوه متنوعة، هناك الشاب على تلك المنضدة يحمل وجه حالم، يتطلع إلى فتاته بسعادة تتضح في ملامحه، حركة يديه، بسمته، فهو يرى أمامه حياته ويرسمها مع حبيبته، غير مكترث أو عابئ بمشاكل الطريق -طريق الحياة أقصد- حيث أنه في تلك اللحظة، في هذه السويعات القليلة المتبقية مع حبيبته اليوم، لا يفكر إلا في كل ما يبهجه ويبهجها.

وهناك وجه آخر هناك، تلك الفتاة التي ترتدي الملابس الرسمية، وتتحدث إلى ذلك الشخص ذو الشعر الأشيب، يبدو أنها محادثة عمل، فالجدية ترتسم

obeikandl.com

على ملامحها وهي تتحدث، وتشرح شئ ما يبدو أنه هام بالنسبة لها، بينما هو يتصنع الاهتمام، وعينيه تتصفح جسدها بعناية، لقد راقبت البشر كثيرًا فى حياتي السابقة، وأعلم عن نظراتهم أكثر مما يعلمون هم أنفسهم، ولكن هذا ليس موضوع حوارنا، أنا أتحدث هنا عن المشاعر وكيف تبدو على الوجوه، هي وجهها جاد وحماسي، بينما هو مستثار من جمالها وتفاصيل جسدها، ولكن العجيب أن لا يظهر ذلك من خلال ملامحه المتصنعة للجدية وإنما فقط يظهر في عينيه، للبشر عدة وجوه معظمها مجرد قناع، والحقيقة واحدة، ولكن أحيانًا تختلط الأقنعة على بعضها فيتشتت الشخص وتتوه نفسه بين الأقنعة، ليس الأمر متعلقًا بالوجه فقط، وإنما البعض يحمل مشاعر مختلطة أيضًا، فمثلا ذلك الشاب الجالس وحيدًا في الزاوية، يشاهد التليفاز، ويتطلع إلى تلك المغنية الحسناء، شبه العارية، بإعجاب، فهو حقًا معجب بشكلها جدًا، وكم يتمنى أن يقترب منها أو يأخذ معها صورة، ولكنه في نفس الوقت، ينظر إليها باحتقار، فجسدها ملك الجميع، إذًا هو يحبها ويحتقرها في نفس الوقت!

كنت دائمًا أعتبر البشر مساكين، مقيدين بمشاعرهم، ولكن الأن، أعتقد أنني أنا المسكين، أنا المقيد بوجه جامد ممل، ومشاعر باردة كالثلج، لم يذيبها سوى حبي لـ(سلمى)، وحتى ذلك الحب، لا أستطيع مجابهته إلا بانطباع واحد خالي من أي مشاعر.

بدأ الشعور بالأسى يملأني تدريجيًا، ولكني تجاهلته عندما رأيت محبوبتي تدخل إلى المكان، وتجلس على المقعد أمامي.

- أعتذر على التأخير.

قالتها وهي تنظر حولها فى توتر، وكأن أحد يراقبها.. رددت عليها بأنه لا مشكلة.. بعد أن طلبت لنا شئ نشربه، جلسنا صامتين، هي تنظر حولها كل دقيقة تقريبًا، وأنا اتطلع إليها بجمود..

- أردت أن أتحدث معك في موضوع ما.

أنا بالفعل أعلم هذا، ولكني لا أعلم لماذا ها هنا، لماذا لم نتقابل في المقابر كما العادة!، وكأنها قرأت أفكاري تتابع:

- وأردت أن نتقابل هنا، في مكان مختلف عن تلك المقابر الكئيبة.

- ولكن هنا أنت لا تجلسي بارتياح، ينتابك شعور أن زوجك سوف يرانا.

تتطلع حولها مرة أخرى، وكأنني ذكرتها.

- شعرت أن الموضوع الذي أريد أن أحدثك فيه، لا يجب مناقشته في مكان مثل المقابر، فالموضوع مقبض وحده، فلا أعتقد أنني سوف اتحمل انقباضًا فوق آخر..

صمتت قليلا لتتأكد من متابعتي لها، قبل أن تتابع:

- أريد أن أحدثك عن موت أبي.

أهذا هو الموضوع المقبض!، لا يوجد أنسب من المقابر مكانًا للحديث عن الموت، لكي تتحدث عن شئ ما وتشعر به، فببساطة توجه إلى عقر داره!

لقد أخطأتي الاختيار سيدتي.

***

obeikandl.com

يرقد مريضًا على الفراش، عم (جابر) بائع الحلوى، هكذا يلقبه الأطفال بكلمة (عم) أما بين الكباريقولون له الشيخ (جابر) نظرًا لمكوثه بالمسجد لفترات طويلة، وخاصة فى الليل بعد أن يغلق محل البقالة الخاص به.. ليس هذا فقط، وإنما -في فترة قصيرة- أصبح هو إمام المسجد، والعديد من الأهالي بالقرية يلجؤون إليه في أي استشارة دينية.. حتى أصابه المرض، وأصبح طريح الفراش.. فى البداية زاره الجميع، عرضوا مساعداتهم المالية، فهو لا يملك المال لكي ينفق على علاج نفسه، والجميع يعلم ذلك.. ولكن عزة نفسه منعته من أخذ صدقة من أحد، وتوكل على الله.. وفي نفس الوقت، هو له ولدًا (سالم) متيسر الحال، ولكنه يعمل في إحدى البلاد الخليجية، وعندما علم بمرض أبيه، كل ما فعله هو إرسال مبلغ زهيد مرفق معه عبارة (أتمنى لك الشفاء في أقرب وقت أبي الحبيب).. ومع الوقت، تناساه الجميع، وتحول اهتمامهم إلى ذلك الدجال الذي حل محله بالمسجد، فهو لا يعينهم بالنصح والإرشاد فقط، وإنما يبطل الأعمال، ويشفي مرضاهم، ويزوج بناتهم، أو هذا ما يعتقدونه!

لم يبق جواره سوى زوجته (نوارة) العجوز.. تخلت عن مصوغاتها وعن كل ما ملكت يديها مقابل علاجه الذي لا يجدي نفعًا، وكلما طلبت منه الاستعانة بأهل القرية، كانت إجابته واحدة لا تتغير.

- لا أريد أن أحملك ما لا طاقة لك به بعد موتي، ولا أريد في عينيكي انكسار، فللدين تنحني الظهور.

فتبكي الزوجة بحرقة، فهي تعلم أن ليس بيدها شئ تفعله، بينما يبتسم هو متابعاً:

- لا تبكي يا محبوبتي، لقد كنا نتقي الله في أعمالنا، فلا خوف من الموت ولا حزن، فقط أدعي لي أن أذهب سريعًا، وأنا سوف أدعو لكي بأن تأتي لي سريعا أيضًا.

ثم يغلق عينيه مبتسمًا، بينما هي تزداد بكاءًا.

***

مراد

أراقب الشيخ (جابر) في رقدته، شاهدت حياته كلها قبل أن أتلقى أمر بإحضار روحه، وحتى الآن أقارن بينه وبين الدجال الذى حل محله، الشيخ (شعبان)، أو كما يلقبوه أهل القرية بـ(مولانا)، لماذا أقتل ذلك الرجل الطيب، بينما أترك ذاك النصاب!، أليس من الأولى أن ننهي حياة من يفسد في الأرض؟!

لا أعلم إجابة لذلك ولا أريد أن أعلم، ما يهمني الآن هي مهمتي فقط.. وأعتقد أنها سوف تكون بسيطة، ليست مثل سابقيها.. بالرجل طيب، تقي، يؤمن بالله حقًا، والأهم يؤمن بأن الأعمار بيد الله، والأرواح ملكه وحده لا سواه، وبالتالي لا يخشى الموت، على العكس، هو ينتظره ويرحب به.

الجسد مريض بالفعل، والروح مستسلمة، رأيته وهو يبتسم لي عندما رآني، قبل أن يودع زوجته بجملته الأخيرة.

- من أنت؟!

قالها وهو يتطلع إليّ متفحصًا، والابتسامة لا تفارق شفتيه.

- أنا عزرائيل، ومخول لاصطحاب روحك إلى أعلى.

كنت أقف له احترامًا، عيناي تنظر إلى الأرض خجلًا، لا أعرف لماذا؟! فأنا السيد في هذا الموقف، أنا من يملك زمام الأمور، ولكن بالرغم من ذلك، شعرت أنه هو المتحكم.

- هل حان وقتي؟!

- نعم.

- هل سوف أقابل ربي؟!

obeikandl.com

هذا الرجل يعتقد أن بمجرد موته سوف يذهب مباشرة إلى ملاقاة ربه، أو ربما يتمنى!

- لا تسير الأمور هكذا، بتلك السهولة، ولكن فى النهاية نعم، سوف تلقاه.

كانت الابتسامة قد بدأت تتبدد ويحل محلها نظرة شرود، هل أحترم صمته، أم أخرجه من شروده؟!، أهاب من حنينه إلى دنياه!

تحدث هو:

- لقد سخرت حياتي كلها في طاعة الله، وحاولت قدر المستطاع ألا أظلم أحدًا، أو أكون كارهًا أو مكروهًا، وطالما تطلعت لملاقاة ربي، وانتظرت.. هذا هو ما كنت أتمناه، أن يأمرك ربي بأخذ روحي للقياه.. أليس هو من أمرك بذلك؟!

كان السؤال مفاجئًا!، بالتأكيد أخذ الروح هو أمر من الله!، ولكن أنا لم أؤمر مباشرة منه، لقد كانت تعليماتي من عزرائيل الكبير، فأنا غير مخول لملاقاة الخالق!

هل أجيبه بنعم؟! أم أنها ستعتبر خدعة؟! وترد الروح مرة أخرى وأفشل؟! لا يوجد مجال هنا للمخاطرة.

- هو بالتأكيد أمرًا من الله، ولكن من أمرني هو عزرائيل الكبير بنفسه.

- إذًا لست يقينًا بأن هذا الأمر من الله؟!

- وممن يكون؟! أليست الروح من أمر الله؟!

تتحول نظرته إلى تضرع..

- يا بني، لقد انتظرت هذا اليوم طويلًا، فرجاءًا لا تفسده علىّ، فقط تأكد يقينًا أن تلك هى رغبة ربي، وسوف أكون تحت أمرك حينها.. فقط تأكد.

ما هذا الرجل؟! ألهذه الدرجة يحب الله؟! ألهذه الدرجة يريد التأكد من أنه ينفذ تعليمات الله؟!

حسنًا.. فأنا أمامي أكثر من إحدى عشر ساعة، فلا ضرر من الذهاب إلى عزرائيل الكبير وسؤاله.

لنا عودة يا رجل.

***

هشام

لم تأتِ (سلمى) هذا الاسبوع، وأنا أعلم جيدًا أنها لن تفعل.. فبعد ما حدث فى ذلك الكافيه تعتقد أنني هجرتها، وكبريائها يمنعها أن تحاول استرجاعي.

أحبها؟! نعم أنا أحبها، علىّ أن أقر بذلك أولًا قبل الاسترسال فى التفكير.. ولكن -بالمقاييس الإنسانية- هل الحب يغفر كل الذنوب؟! حتى لو كان هذا الذنب هو قتل أحد أحبابها؟!

نعم، لقد اعترفت لي فى ذلك الكافيه أنها هى من قتلت والدها، وكانت زيارتها للمقابر فى الليلة التى قابلتها فيها، وبكائها ماهو إلا ندمًا على فعلتها تلك، ولكنها تحيل معظم الذنب أو الوزر إلى زوجها (أحمد).

والدها في يوم ما صدمته سيارة، وحدث خلل ما استوجب إلى جراحة عاجلة، وبما أن (سلمى) تعتبر من أفضل الأطباء في هذا المجال، تولت هي المسئولية كاملة، وبالفعل استطاعت أن تبقيه حيًا رغم صعوبة العملية، ولكن هنا جاء دور (أحمد).. عندما جائها إلى المستشفى كانت تتوقع منه المواساة على ما حدث، ولكنه فاجأها عندما قال لها أن تلك هي فرصتهم، ويجب عليهم استغلالها، لمصلحتهما الشخصية يجب أن تنتهي حياة (محمود أبو شامة) والد (سلمى).

وبالفعل، بعد تردد دام يومان، وبعد أن بدأت حالة والدها تتحسن، قتلته هي بنفسها، أضافت إلى محلوله شئ ما أودى بحياته.. ولكن لماذا؟! لماذا أرادا قتله؟!

هذا أول ما نطقت به بعد صمت دام طوال القصة.. وإجابتها كانت صادمة أكثر من قتلها لأبيها!

لقد كانا، هي وزوجها، يفعلون كل شئ بشع في حق البشر، يساومون على حياتهم من أجل المال، حتى أنهما -في بعض الأحيان- تتطرقا إلى تجارة في الأعضاء، وغيرها من الآثام..! لا تتعجب هكذا، هذا ليس فيلما عربيًا قديمًا، وإنما هو واقع، والدليل على ذلك، أن والدها (محمود أبو شامة) كان رجل أعمل ثري شريف، وليس فاسدًا كتلك الأفلام التي تشاهدها.. وعندما وصل إليه خبر بوجود مثل تلك المخالفات في مستشفيات (العمري) بدأ يحقق في الأمر، وبالفعل كاد أن يتوصل إلى الحقائق، مما جعل (أحمد) يفكر جديًا في التخلص منه، حتى سنحت فى الفرصة عندما تعرض لتلك الحادثة.. وأنا أعتقد السيارة التى صدمته ليست مجرد حادث عرضي، وإنما كان مدبرًا من قبل (أحمد) حتى يتخلص منه دون لفت انتباه (سلمى)، ولكن عندما لم يشأ القدر، فكان لابد من إدخال (سلمى) فى الأمر، وإقناعها بأن تقتل أعز أحبائها بنفسها، حتى لا يتهدم ما بُنيّ من سلطة ومال.

هنا تملكني الغضب، تهاب ان تذكر لي أنها قتلت والدها، ولكن أن تتاجر في أعضاء البشر وغيرها من الأفعال البشعة، شئ عادي بالنسبة لها!

كيف لي أن ائتمنها على نفسي طالما هي من قتلت حبيب لها من قبل، وليس أي حبيب، وإنما والدها..؟!!

هذا ما جال بخاطري حينها، ثم تركتها وذهبت دون أن أتلفظ بكلمة مما أفكر.. ودون أن ألتفت إليها عندما نادتني.

أما الأن، وأنا أجلس داخل مقبرة عم (محروس)، أفكر في أن أغفر لها ذنبها، بل أنا لا أعتقد أنه ذنبًا من الأساس، لا أعلم حقًا هل هذا اعتقادي بالفعل أم أن الحب يصور لي ذلك!

ولكن فى النهاية، أنا أكثر من يعلم أن (سلمى) ماهي إلا أداة لفعل تلك الأمور البشعة، وليست المذنبة بفعلها..

وعن قتلها لأبيها، لماذا أنعتها بالخائنة في مخيلتي؟! هي كانت مجرد سبب فقط، سبب يظهر للبشر حتى لا يندهشون أو يتسائلون كثيرًا، حتى يتقبلون فكرة (فلان مات بسبب كذا) ولا يتطرقون للقاتل الحقيقي، والذي كنت أنا منهم، (عزرائيل).

إذًا، لماذا أنا غاضب؟! لماذا لا استطيع تقبل الأمر دون أن أخشاها؟!

ألأنها قتلت من تحب؟! وماذا في ذلك؟!

أعتقد أن الخوف تملكني!، فلا يوجد مبرر لهذا الغضب إلا الخوف..

لا، ليس الخوف من (سلمى)..

ولكن اعتقد أنني أخافه هو.. الموت..

***

obeikandl.com

مراد

كان سؤالًا غبيًا، هل آخذ روح الشيخ (جابر) أمرًا من الله؟!

أحقًا هذا ما عدت إلى عزرائيل الكبير من أجله؟! من الطبيعي أن يكون رده ابتسامة ساخرة.. وهذا بالفعل ما حدث.. لذلك تطرقت إلى سؤال آخر، لحفظ ماء الوجه.

- لماذا نأخذ روح الطيب، ونترك المحتال؟!

كنت أقصد هنا الشيخ (جابر) بالطيب، والمحتال (شعبان).

لم يجيبني أيضًا، وإنما نظرة صارمة ألجمت لساني للحظات.. كاد أن يذهب ويتركني خائبًا، ولكنني استوقفته، أنا أصر على معرفة الإجابة، الشيخ (جابر) يعول زوجته العجوز، ومع ذلك لم يلجأ إلى الاحتيال، على عكس (شعبان) والذي يعيش مرفهًا.

- الملاك لا يسأل.

قالها دون أن يلتفت إليّ..

- أنا لست ملاكًا حتى الأن، أنا لازلت في اختبار.

- اسأل مرة الأخرى وتفشل.

لم أتحمل فكرة الفشل، لقد قررت أن أصبح عزرائيل، وسوف أكون.. ولذلك كان هنا نهاية الحوار..

عدت أدراجي، كان الشيخ (جابر) منتظرًا كما هو على الفراش، جسده يتدهور صحيًا، ومازالت زوجته تبكي جواره.

- تأكدت من أن الله هو من أمرك بأخذ روحي؟!

قالتها الروح، متصنعة الابتسام، فأومأت برأسي مؤكدًا، لم يبتسم بارتياح كما توقعت، ولكنه توتر أكثر قبل أن يسأل متعلثمًا:

- هذا جيد.. اسمح لي أن أصلي ركعتين قبل رحيلي، أريد أن أقابل الله نظيفًا.

- لك كل الوقت، افعل ما شئت.

أخذ يفكر قليلًا قبل أن يتسائل:

- يجوز لي أن أصلي نائمًا، أليس كذلك؟!، أم أن آخر صلاة لي يجب أن تكون مضبوطة كما يحب؟!

لم أكن يومًا محافظًا على صلاتي، لا أعلم يقينًا ما يجب أن يفعل حقًا.

- أعتقد أنه في حالتك الصحية تلك، يجوز لك الصلاة كيفما تستطيع.

- قلت لك من قبل أن تلك اللحظة مهمة جدًا بالنسبة لي، لذلك لا أريد اعتقاد، وإنما المعلومة أريدها يقينية.. أرجوك تأكد لي أولا، لا تقلق فأنا منتظرك.

هكذا عدت مرة أخرى إلى (عزرائيل الكبير) محملًا بسؤال آخر.

لم تكن الروح سهلة كما اعتقدت، لقد عدت أدراجي أكثر من مرة، وفى كل مرة سبب مختلف، سؤال مختلف، حتى سرقني الوقت ولم يتبق لي سوى ساعة واحدة، حسنًا، يكفي تساهلًا الأن، يكفي حججًا حتى يهرب من الموت، هذا الشيخ يأخذ من حبه لله حجة حتى لا يموت ويترك الدنيا.. لماذا يتمسكون بالدنيا هكذا؟!

هذا موضوع أخر لا أرغب في التطرق إليه حاليًا، فأمامي مهمة يجب إنجازها.

- لا تتعب نفسك، هذه المرة لن أذهب بدونك مهما حدث.

اتسعت عيناه في رعب..

- ولكني.. ولكني لا أريد أن أقابل الله هكذا، أنت تعلم مدى أهمية.

قاطعته هذه المرة بصرامة:

- أعلم مدى أهمية ذلك بالنسبة لك، وأعلم أيضًا أن كل هذا ما هو إلا حجج تلجأ إليها.. لماذا تفعل هذا؟! أنت رجل تقي، اعتقد أن ما ينتظرك هو النعيم، وليس العذاب كغيرك، لماذا تهرب من ملاقاة ربك؟!

يبكي، نعم روح الرجل تبكي أمامي الأن، تبكي حتى النحيب.. وبعد أن هدأت قليلًا قالت:

- كيف أموت وأترك زوجتي العجوز؟! أنت تراني الآن مريضًا، ولا أحد يطرق بابنا،فما بالك عندما أذهب، سوف يهتم بها، أنا لا أعترض على إرادة الله، أنا فقط أهتم بمن أهداني بها الله..

- لا تقلق، لن تتركها كثيرًا، سوف تموت هي الأخرى قريبًا.

ابتهج قليلا، وكأن في موتها شئ يسعده.

- أحقًا؟! هل تعلم متى سوف ألقاها فى العالم الآخر؟!

- بالطبع لا أعلم، أنا أنفذ ما أأمر به، ولكني لا أعلم موعد أجل أي من البشر.

- ولكنك قلت قريبًا؟!

ابتسمت له مطمئنًا مفسرًا:

- مهما طال الوقت في الدنيا، فهو ليس بالكثير.

عاد الاحباط إلى عينيه مرة أخرى، ولكنه أصبح أهدى مما سبق.

- ألم يحن الوقت للقدوم معي بعد؟!

قلتها له منتظرًا منه المثول إلى أمري، فليس له حجه بعد أن طمئنته على مصير زوجته، أوهذا ما اعتقدت.. ولكنه مازال حائرًا، خائفًا، مترددًا.

- هيا بنا لا تتردد.

قطعت صمته بتلك العبارة، وبدأت فى التحرك بالفعل، وهو بحركة آلية، ووجه حزين، انطلق خلفي.

لا أعتقد أن زوجته هي السبب في خوفه، ولكن للموت رهبة لا يعلمها إلا من يأتيه.

لا يهم الأن، المهم أنني نفذت ما جئت من أجله.

أو بمعنى أدق..

أخذت ما جئت من أجله..

***

أنا الموت يرهبكم...

من لا يخاف مني فهو كاذب..

أنا الرهبة في نفوسكم.. أنا الخوف في عيونكم..

أنا الذي لا تستطيع أن تتكابر عليّ.. فالكبر يختفي في حضرتي..

أنا الخوف في عيون من يراني..

فأنا آخر من يراه..

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣)

الموت والرحمة..
لا يجتمعان

obeikandl.com

obeikandl.com

هشام

هاتفتها أخيرًا، اتصلت بـ(سلمى) على جوالها، ولكنها لم تجب، شئ متوقع بعد ما بدر مني فى آخر لقاء بيننا، لذلك ذهبت إليها في المستشفى لأجد أمامي بعض الهرج، وعلى ما يبدوا أن عائلة أحد المرضى يحاصرون طبيبًا، ويعاتبونه على تصرف ما قام به.

لم أعر للأمر اهتمامًا في البداية، فالغرض من قدومي، هو (سلمى)، وهي غير متواجدة بالحشد، ولكن على ما يبدو أن هذا الأمر هو الذي يهتم بي!

سمعت أحدهم يدعو الطبيب المحاصر بالدكتور (أحمد).. هناك العديد ممن يدعون بـ(أحمد) ولكن الاسم جذب اهتمامي رغمًا عني، هل هذا هو زوج (سلمى)؟!

اقتربت من الحشد، وتطرقت النظر إليه، لم يبدو عليه الذعر مما يحدث، لم يكن خائفًا من غضب بعض الأشخاص وهم يلوحون بأيديهم هنا وهناك، بالعكس، بدى هادئًا واثقًا مما يفعل، يتلقى الإهانات بابتسامة سمجة، ويجيب على الغضب بهدوء تام.

- كيف لك أن تتصرف من نفسك؟!، لماذا فصلت الأجهزة عن أبي؟!

قالتها فتاة في بداية الثلاثينات على ما أعتقد، وهي تنتحب من البكاء.. وبنفس الابتسامة الهادئة أجابها (أحمد) وهو يشير إلى شخص يقف خلفها.

obeikandl.com

- أنا لم أتصرف من نفسي سيدتي، لقد وقع أخوكي على موافقته، والورقة معي إذا أردتي التأكد بنفسك.

يقترب منها شخص ما –أخوها على ما يبدو- وحاول أن يضمها إليه قائلا:

- حبيبتي، أبانا كان ميتًا بالفعل، وتركه يذهب كان أفضل خيار، لماذا نتركه يتعذب طالما أمامه الراحة الأبدية؟!

كادت أن تستجيب إلى كلماته في البداية، حيث استسلمت إلى ضمته لها، ولكنها في النهاية تدفعه بعيدًا صارخة في وجهه:

- أنت لا تكترث لراحة أبي كما تقول، كل ما تريده هو المال، لن أترك شيئًا لك من الميراث، فليس للقاتل ورث..

لم يجبها الأخ وإنما تطلع إليها وإلى أقاربهم المتواجدين بتوتر بالغ.. فهو الآن في موضع المتهم.

لماذا أصادف تلك الحالة هنا؟!

أليست شبيهة بما أمر به مع (سلمى)؟!

ولكن هنا حجة القتل هي الراحة، لا راحة في الموت يا عزيزي، ولا يوجد ما يسمى بالموت الرحيم، أنت فقط لا تمتلك الشجاعة لتعترف بأن المال هو الغرض الرئيسي.. مثلما اعترفت لي (سلمى).

- لن ترى أبي مرة أخرى، فلتنسى أمر جثته، أنا من سينهي الإجراءات.

قالتها باكية وهي ترمق أخاها بنظرة كره.. ثم تتطلع إلى باقي أهلها متابعة.

- لن يقترب أيّ منكم من أبي، دومًا ما كرهتموه.. أنا المسؤولة هنا.

ألجم صراخها لسان الجميع، حيث بدى لهم أنها تمر بمرحلة انهيار عصبي، بينما تتسع ابتسامة (أحمد) قبل أن يخفيها سريعًا ويأخذ الأخت الغاضبة جانبًا لتهدئتها.. أو هكذا اعتقد الجميع.

تعودت في وظيفتي السابقة أن أرى خبث الإنسان وشره للمال، لذلك –بربط ما أعلمه عن دكتور (أحمد) بما يحدث أمامي الأن- لا استبعد أن المدبر لتلك

الأحداث هي الأخت، جعلت الدكتور يقنع أخيها الطيب أن يوقع على موت أبيها الرحيم، لتستولى هي على نصيبها فى الميراث، ليس هذا فقط، وإنما المحاولة أيضًا لاقتناص ورث أخيها.. ولكن ما المقابل بالنسبة لدكتور (أحمد)؟!.. لا أعلم، ولكن بالتأكيد له مصلحة ما.

كل هذا ما هو إلا تخمين فقط، فأنا لا أعلم ما تخفيه القلوب، ولكن لماذا أشغل بالي بما يحدث، أنا هنا من أجل (سلمى).

بحثت عنها بأرجاء المستشفى دون جدوى، وبقليل من المال لعاملة الاستقبال، استطعت أن أحصل على عنوان منزلها.. بما أن زوجها هنا فى المستشفى، فلا ضرر إذًا في الذهاب إلى المنزل.. هذا إذا كان من رأيت هو (أحمد) زوجها بالفعل.

***

openkandl.com

مراد

مرة أخرى مدينة عزرائيل.

تبدو الأمور مألوفة هذه المرة، لقد بدأت التعود على موطني الجديد، ولكن التفكير في أنني سوف أصبح مثل القاطنين هنا يؤرقني.. أنا الآن أتجول، اتطلع، وأتحدث متى شئت لأي شخص أقابله، على عكس كل من أراهم الأن!

فجيراني بالسكن يتحركون بلا شعور ولا هدف، لا يتحدثون، لا يعترضون، وإنما يختفون فجأة لتنفيذ مهمة ما. لماذا لا نمرح هنا قليلا؟!.. لماذا لابد لعزرائيل أن يكون قاتمًا هكذا، حتى مع بني جنسه؟!

- لا مكان للمرح هنا.. لذلك فلتمرح أنت متى استطعت.

إنه ذلك العجوز مرة أخرى، الذي وجدته من قبل على باب سجن الأرواح!

حسنًا، لقد كنت مخطئًا.. هذا هو الشخص الوحيد الذي يتحدث.. لو استثنينا الأرواح الحبيسة.

- ولكن لماذا؟!

اكتفيت بهذا السؤال فقط، لن أسأله عن نفسه هذه المرة، فهو لن يجيب على أيه حال..

- كيف تمرح وأنت تعلم أنك قاتل؟!

ابتسمت بسخرية..

- لقد أخذت روحين حتى الأن، وأنا أريد المرح كما ترى.

obeikandl.com

يتركني ويذهب كالعادة قائلًا:

- لذلك قلت لك، فلتمرح متى استطعت.. عندما تنتهي مما تمر به الأن، سواء بالنجاح أو الفشل، سوف تكون الخاسر..

هرولت خلفه، لقد استفذني بكلامه هذا..

- كيف هذا؟!، إن نجحت سوف أكون الأقوى، كيف أكون خاسرًا وأنا من يتحكم بمصائر البشر؟!

لم يجب، فقط جلس على إحدى الصخور وشرد حزينا فى اللاشئ، وكأنه يتابع فيلمًا ما لا أراه.. حاولت بشتى الطرق جذب الحديث مرة أخرى دون جدوى.

فليذهب ذلك المعتوه إلى الجحيم، هو عجوز خرف، لا يفقه شيئًا، لقد أرسله عزرائيل الكبير لتعطيلي.. هذا ما يحدث بالتأكيد.. ولكن لا، ليس هناك ما يمنعني عن أن أكون عزرائيل.

هيا يا عزرائيل الكبير، فلترسل إلىّ مهمتى الجديدة وكفاك مماطلة.. أنا على أتم استعداد.

***

سلمى

شعرت بالذنب والندم كثيرًا، ولكن ليس فى تلك المرة عندما جائني (هشام) المنزل، كنت أتوقع أن يأتي لمصالحتي، ولكن لم أتصور أن تأتي له الجرأة لكي يأتي إلى المنزل.. ليس هذا فقط، بل ونتضاجع على فراش زوجي!

كنت أرى إسمه على شاشة هاتفي، ولكنني تعمدت ألا أجيب، فدائما تلك الحركة تنجح مع الرجال، كنت شغوفة للرد ولكني لم أفعل.. كنت أنوي أن ألاعبه قليلًا، أعاتبه على تركي هكذا فى الكافيه دون الرد على ندائاتي.

لذلك لم أذهب اليوم إلى العمل، كنت أعلم أنه سوف يذهب إلى هناك ويبحث عني، ولكنني لم أتصور إطلاقًا أن يطرق باب شقتي!

- أنت؟!

هكذا كان اللقاء، تعجب مني، صمت بألف معنى منه وهو يقف أمامي على باب الشقة.

- هيا فلتدخل بسرعة، لا أريد أن يراك أحد.

كان من الممكن أن أطلب منه الذهاب بدلا من الدخول، ولكنني أعلم أن هذا لن يجدي نفعًا، أو أنني أردت دخوله بالفعل.

- هل أنت مجنون؟!، كنت أقابلك فى المقابر حتى لا يراني أحد وأثير الشكوك حولي، فتأتي أنت إلى هنا؟! إلى منزلي؟!

أردت أن تكون العبارة حازمة ولكني فشلت فى ذلك، فابتسم، ونادرًا ما يبتسم!

- أنت أردت قدومي، ثم إن زوجك فى المستشفى الآن.. فما الضرر من القدوم؟

- وإن رآك أحد؟

- لن يحدث.

حديث قليل كالعادة، اعتذار صامت ناجح، والفراش ملجأنا المعتاد.. كنت غير قلقة، فزوجي لن يأت الليلة.. وكنت فى قمة سعادتي، فمضاجعته بعيدًا عن المقابر شئ مختلف كليًا.. لا أعلم إذا كان هذا نفس شعوره أم لا، ولكني لمست اشتياق في كل تنهيدة يطلقها، وفي كل نظرة ينظر بها إلىّ وإلى كل جزء فى جسدي العاري، وهذا شئ جديد في علاقتنا.

- متى وكيف تريدين موته؟!

فاجأني السؤال، فاعتدلت على الفراش مستفسرة:

- من هذا؟

اعتدل هو الأخر، وعلى وجهه انطباع لم أفهمه، ولكنه مختلف عما أراه سابقًا، لقد كان وجه جامد طوال الوقت.

- (أحمد) زوجك.

كيف له أن يعلم أنني أريد قتل (أحمد)؟!

- من قال لك أنني أريد ذلك؟! ليس معنى أنني شاركت في قتل أبي أن أقتل زوجي أيضًا.

لم يكن كلامي مقنعًا بالنسبة لي، وبالتالي انعكس الشعور إليه، فظل يرمقني دون أن يجيب.

ازداد توتري، فمددت يدي إلى حقيبتي لأخرج السيجارة منه، فأنا عندما أتوتر أدخن بشراهة.

أخذت أول نفس من السيجارة ثم أطلق دخانها فى هواء الغرفة قبل أن أسأل مستسلمة.

- حسنًا، كيف علمت رغبتي تلك.

يمد يده ليأخذ مني السيجارة، ونفث منها!.. ياللعجب! لقد تغير كثيرًا!

- لا يهم كيفية علمي بما يدور بخلدك، المهم أنني قررت مساعدتك..

سألت بحذر:

- أهذا لأنك تحبني أم أن هناك غرض أخر؟!

أخذ نفسًا أخر قبل أن يعيد إليّ السيجارة، وقال دون أن يعير أي اهتمام لسؤالى.

- ولكني لن أتزوجك.

حسنًا، لم يفاجئني هذا الأمر، أنا أيضًا لم أطمع فى ذلك.

- يكفيني أن تكون عشيقي.

لا أخجل من إظهار سعادتي بهذا الأمر، فكونه لا يريد الزواج، يثبت لي أن غرضه ليس المال، وهذا أمر لم أعتده، ولكنه يبهجني.

سوف تأخذ علاقتنا الآن منحنى آخر، منحنى لا رجعة فيه..

فما يربطه الدماء لا ينقطع إلا بدماء أخرى..

***

(فاروق) لم يكن بالشاب الوسيم أو قوي البنية مفتول العضلات، أو حتى ذلك الشخص الرومانسي صاحب الأشعار الجميلة، وأيضًا لم يكن ثريًا.. كان شابًا عاديًا، مترهل الجسد، يصارع في الحياة من أجل البقاء.

لكن هذا ما وجدته (جميلة) أمام عينيها منذ صغرها، وهي اسم على مسمى، جميلة فعلًا، يتصارع عليها الشباب أينما ذهبت.. ولكنها اختارت هذا المترهل، أو اختاره القدر لها، (فاروق) ابن عمها والذي يكبر عنها بسنتين، تربيا معًا بنفس المنزل فاعتادا على بعضهما، وسميا ذلك حبًا، ولصلة القرابة، لم يقابلهم صعوبة في الزواج، ذلك الزواج الذي استنكره الكثيرون.. كيف لتلك الجميلة أن تتزوج من ذلك المترهل؟!

الحسد هو من تحمل مسؤولية عقم (فاروق)، فبعد سنتين من الزواج وعدم ظهور بوادر الحمل عند (جميلة)، وبعد تدخل العائلة فيما لا يعنيهم كالعادة، ذهب العروسين إلى الطبيب ليكتشفا أن (فاروق) لا يستطيع الإنجاب!

هنا، بدأ الصراع بين الأسر، تناسوا محاولاتهم المستميتة لتزويجهم لبعضهم، وتذكروا فقط عقم (فاروق)، وأنه فى الأصل لا يليق بأن يكون زوجًا لـ(جميلة)، ولكن (جميلة) كان لها موقف هنا، وقفت أمام أسرتها، ورفضت دعواتهم للتطليق من (فاروق) العقيم، واستطاعا أن يعيشا معًا عشر سنوات في صراع بين الأسرتين وأيضًا مرتحلين بين الأطباء لمحاولة علاج هذا العقم.

وعندما بلغت (جميلة) سن السابعة والثلاثون، فوجئت أن الطبيب يقول لها أنها حامل.

كانت السعادة لا توصف، ليس لهما فقط، وإنما لأسرتيهما بعدما انقطع الأمل في الأمر.

لذلك كان الاهتمام غير مسبوق بـ(جميلة)، ففي ذلك الوقت لم تحمل طبقًا في يدها، بل لم تحمل ملعقة تأكل بها، كان دائمًا هناك شخص أخر يطعمها.. حتى موعد الولادة.

لم يكن الأمر هينًا، فبسبب سنها كانت العملية صعبة، ولكنها مرت بسلام.. أو هكذا ظنوا.

بعد مرور سنتين، لم يكن خلالهما اهتمام لدى الاسرتين سوى لذلك الطفل، والذي أصبح اسمه (نضال) نسبة إلى النضال الذي مرا به، ظهرت أعراض غريبة على (نضال)، فمثلًا تأخره في الحديث، أو تأخره في الحركة، حيث أنه أتم السنتين دون أن يتحرك مثل أي طفل في سنه.. وعندما ذهبا إليه إلى الطبيب اكتشفا إصابته بخلل عقلي، خلل سوف يستمر طوال حياته، فأصبح من الواضح أن أسم (نضال) لن يكن نسبة إلى نضال الزوجين فقط، وإنما نضاله هو شخصيًا في المستقبل.. إذا كان هناك مستقبلًا له من الأساس.

***

obeikandl.com

مراد

مهمة أخرى..

لكن هذه المرة لن أفعلها قبل أن أعرف السبب.. أعتقد أن كلام العجوز قد أثر في!

ولكن أين عزرائيل الكبير الأن، هو يظهر فقط وقت ما يحب الظهور، ولكن عندما أحتاج إليه أعاني في البحث عنه، في آخر مرة ظللت أنادي في الفراغ حتى لبى النداء، جربت تكرار المحاولة الآن ولكني فشلت.

أمامي يومين لأخذ روح الطفل (نضال)، ولا أعرف كيف أفعل هذا؟!

لقد عانا الزوجين لكي يرزقا بهذا الطفل، ليس هذا فقط، وإنما أصيب بابتلاء يرافقه طوال حياته، ثم يطلب مني أن آأخذه منهم بعد كل ذلك؟!

أين الرحمة هنا؟!، أين العدل؟!

لكن لمَ أشغل بالي بتلك التفاصيل؟! أو بمعنى أخر لم أفكر في الموضوع بتلك الطريقة؟ ألست في اختبار؟! فمن الطبيعي إذًا أن يكون المطلوب صعبًا.

هذا التفكير يريح الضمير نسبيًا، ولكن من جهة أخرى، لو قمت بتنفيذ كل الأوامر دون التفكير في السبب أو الغرض، أو حتى مجرد عرض الموضوع على عقلي الصغير، سوف أصبح كأي عزرائيل في تلك المدينة، كما قال لي العجوز، مجرد آلة تنفذ أمر القتل.

obeikandl.com

الوقت يضيع مني دون الوصول إلى حل، لذلك قررت الذهاب إلى تلك العائلة البائسة، لعلني أجد سببًا لارتكاب تلك الجريمة.

******

الحزن في البيت هو السائد.. أرى الآن (جميلة) تنظر إلى طفلها اللذي يلعب أمامها محاولًا الحركة على الأرض دون جدوى، كانت تتطلع إليه بحزن بالغ.

نظرتها إلى (نضال) تختلف كثيرًا عن نظرتي أنا، فأنا أراه مستمتعًا بوقته، يحاول الوقوف والمشي مرارًا وتكرارًا ويفشل في كل مرة، ولكنه يقوم بالأمر وكأنه لعبة يتسلى بها، فهو غير منزعج بالمرة.. فقط (جميلة) هي المنزعجة.

- الطفل يلعب كما ترين، وأنا أرى فيه الإصرار من صغره، فتفائلي خيرًا.

قالتها تلك العجوز الجالسة أمام جميلة على المقعد، وهي والدتها، وأكثر من عاتبها على عدم ترك (فاروق) زوجها بسبب عقمه.. تبتسم (جميلة) ابتسامة ساخرة دون أن تلتفت إلى والدتها، فتتابع الأخيرة:

- لقد قلت لكي أن تتركي هذا الرجل، (فاروق) لا يستطيع الإنجاب، وعندما فعل، جاء بطرح عطب.

هذه المرة نظرة الغضب هي التي طلت من عيني (جميلة) اتجاه والدتها، التي ألجمت لسانها وصمتت متحسرة على نصيب ابنتها.

ولكن أين (فاروق)؟ لا يوجد بالمنزل!

اسمع جلبة في الخارج، ذهبت لأتفحص الوضع، فوجدت (فاروق) هو المتسبب في تلك الجلبة، حيث أنه يقف وسط الشارع، وحوله حشد من الناس، من مختلف الأعمار.. بينما هو في المنتصف يمسك بيده اليمنى سكينًا كبيرًا، وباليسرى خاروفًا من قرنه.

يبدو أن (فاروق) لجأ لتقديم القرابين، لعل الله يتقبل تلك الأضحية، مقابل تعافي (نضال)!

- يا رب، اشفي لي ولدي، لقد جاء بعد معاناة أنت تعلمها.

قالها بصوت عالٍ، بصوت باكٍ، ثم ينظر للجمع وكأنه يطلب منهم الترديد خلفه، ولكنهم لم يأبهوا لذلك، فكل نظرهم على الخروف، وكأن في ذبحه متعة تنشيهم.

لما يأس منهم، قام (فاروق) وحده، بإخضاع الخروف وتمديده على الأرض، وبعد أن سمى بالله بأعلى صوته، قام بدبح الخروف لتسكن مقاومته التي كانت ضئيلة، وتتفجر الدماء بغزارة حوله، وسط صياح النصر للجماهير الحاشدة.

كان منظرًا عجيبًا، فرحة عارمة للحشود، والأغلب من الأطفال، بينما يتمدد (فاروق) على ظهره وسط الدماء باكيا، وهو يردد كلمة واحدة.. يا رب.

كنت أتمنى أن يجدي ذلك نفعًا.. ولكنني هنا الأن، لأفعل أبشع من المرض، هو قتل ابنك.

هل الإنس بالنسبة لنا -عزرائيل- مجرد خراف؟! نقتلهم دون رحمة، بل ونفرح عندما نتم المهمة بنجاح، وكأن ذلك الإنسان مجرد أضحية في العيد!

هذا الخاطر رهيب بحق!

ولكن الخروف عندما يُقتل، تعود منفعته على كثير من بني الإنس، من لحم وفرو وغيرهما.. فما الذي يعود على عزرائيل من القتل؟!

أعتقد أن مجرد التفكير في أنك متحكم بمصير غيرك في الحياة من عدمها، هو متعة في حد ذاتها، ثم أنني أرى أن ذلك الغرض أرحم بكثير من أن يُستغل القتيل بأكله أو سلخه، فهذه بشاعة لا توصف!

بعيدًا عن كل هذا، وعودة إلى (نضال)، أظن أنه يستحق الحياة، إكرامًا لأهله على الأقل.

يجب أن اتحدث مع عزرائيل الكبير.. هذه المرة لن أنفذ الأمر صامتًا.

***

هشام

أجلس كالعادة في قبر عم (محروس)، أفكر فيما آلت إليه الأمور.. حسنًا، سوف أعود إلى وظيفتي السابقة، فأنا كنت ملاكًا قاتلًا، والآن أسعى لأن أكون إنسان قاتل!

لكن لو فكرت مليًا سوف أجد أنني الآن لست قاتلًا، حتى لو قتلت، فأنا الآن سبب للقتل، أو مجرد حجة يلجأ إليها عزرائيل لينفذ جرمه.

كنت سابقًا –عندما كنت عزرائيل- أتعجب وأتسائل، لماذا يفعل الإنسان هذا؟! لماذا يساعدني ويُسهل عليّ المهمة ويقوم بقتل إنسان آخر؟!

ماذا كان سوف يحدث لو تعايش بني الإنس معًا بدون ضغائن وبدون قتل بعضهم لبعض؟!، أعتقد أن عزرائيل حينها سوف يجد صعوبة بالغة للقيام بعمله!

ولكن تلك المشاعر التي يحملها بني الإنس، وأحملها أنا الآن هي النقمة التي تجعلنا نخرج أسوأ ما فينا.. الحب، الغضب، الكره، الحقد.. وغيرها من المسببات لدمار الأرض.

فالفساد متوغل هنا كثيرًا، وسفك الدماء لا ينتهي، حتى لو كان للمتعة فقط!

- لماذا تفكر في كل هذا الآن؟

انتفضت ذعرًا، عجبًا لقد أصبحت أخاف الآن!.. وجدت عم (محروس) جالسا

بأحد الأركان، وهذا زادني رعبًا، فعم (محروس) ميت! ولكن مهلًا، لقد رأيت أرواحًا وتحدثت معها معظم حياتي، فلماذا أشعر بالخوف؟!

- من أنت؟!، وإن كنتي روح عم محروس، كيف أراكي؟!

يبتسم عم (محروس)، أو بالأدق روحة..

- تراني كما كنت ترى الأرواح من قبل، فلما العجب؟!

- ولكني الآن من الإنس، والإنس لا يرى الروح أو يتحدث معها؟!

تتسع ابتسامة عم (محروس) أكثر مجيبًا:

- أنت لست إنسانًا كاملًا بعد، أنت في مرحلة اختبار، وبالتالي مازلت تحمل بعض صفاتك القديمة.. البعض فقط.

أحقًا هذا؟! أنا الآن خليط بين ملاك وبشر؟!

- حتى لو كان كلامك صحيحًا، فالسؤال مازال قائما، كيف أراك؟! كيف أنت هنا من الأساس؟!، فالروح عندما تصعد لا تنزل مرة أخرى، هذا ما تعلمته وأنا في مدينة عزرائيل.

- ليس معنى أنك لم تمر بالأمر، أن هذا الأمر لا يمكن حدوثه.. دعك الآن مني ولتفكر في أمرك أنت، أنت في اختبار، ويجب عليك أن تنجح لكي تصبح إنسانًا.

ماذا يعني بكوني في اختبار؟! وما هو ذلك الاختبار؟!

- أهذا يعني أن باستطاعتي العودة لأكون عزرائيل مرة أخرى؟

- لا أعلم، إذا كنت تعني بذلك أن تفشل فتعود كما كنت، فأنا لا أعلم العواقب، ولكن إذا سألت نفسك، هل بالفعل تريد أن تعود عزرائيلًا؟!، هل تريد ترك (سلمى)؟

تبًا لتلك المشاعر الإنسانية، أقولها للمرة الألف، أنا حقًا لا أريد أن أكون بشرًا بعد الآن ولكن في نفس الوقت أنا أشعر بمتعة كبرى بجوار (سلمى).

- لا يهم ماذا أريد الأن، إذا كنت في اختبار كما تقول، فأنا على وشك الفشل.. سوف أقتل شخصًا ما!

- ومن قال أن هذا فشلٌ؟!، أليس هذا ما يفعله الإنسان؟!، أنت تُختبر لكي

تصبح بشرًا، والبشر كما ترى، خلقوا ليَقتلون ويُقتلون..

اتطلع إليه متعجبًا مما يقول، فتابع:

- أحقا لم تلحظ ذلك طوال حياتك؟!، هذا واضح في أبسط الأمور، فمثلًا كي يعيش الإنسان يجب أن يأكل، ولكي يأكل، يجب أن يزهق روحًا، سواء كان حيوانًا أو نباتًا أو حتى إنسانا لو كان مضطرًا.. الإنسان يعيش حياته على موت أحدهم.

- ليس الإنسان فقط، فالحيوان أيضًا هكذا.

- وما الإنسان إلا حيوان عاقل..

لا أنكر أن ما قاله كان مقنعًا بالنسبة لي.. إذًا ارتكابي للجرائم والأخطاء ما هي إلا من طبيعة البشر، ولكي أكون بشريًا لابد من اكتساب تلك الطبيعة، وأعتقد أنني اكتسبت البعض منها، فهذا ما أفعله مع (سلمى) طوال الوقت.

- دعنا نعود إليك مرة أخرى، أنا متيقن أنه ليس للأرواح حق الظهور مرة أخرى في الدنيا بعد الموت، هل أنا نائمٌ الآن وفي عالم الأحلام؟!

يلتمع بريق عينيه مع ابتسامة واسعة..

- لن تعلم، ربما تكون نائمًا، ربما أكون روحًا أو حتى ملاكًا أراد مساندتك..

ثم تتسع ابتسامته أكثر وأكثر متابعا:

- وربما أكون من الجن، ربما أكون شيطانًا وأريد غوايتك.. لن تعلم.

***

مراد

- هذا يكفي.

قلتها بغضب وأنا في مواجهة (عزرائيل الكبير) بمدينة عزرائيل، لقد ظهر لي بعد فترة من مناداته.

- أتكتفي بهذا القدر؟!، ألا تريد أن تصبح عزرائيلًا؟!

كان يبتسم في مواجهتي، وكأننا كنا في معركة وهو المنتصر الأن، ولكني لم أكن أعني ما فهمه، أنا لا انسحب، أنا أريد أن أملي شروطي!

- بالطبع لا، الانسحاب ليس من طبعي، وإنما لا أريد أن أصبح عزرائيلًا كما الذين آراهم هنا، إنهم مثل الآلة، لا يتحدثون، لا يعترضون، حتى أنهم لا يفهمون لماذا تلك الروح خصيصًا يجب أخذها، فهناك أرواح أخرى أجدر بذلك!

- هذا هو عملهم، وهم يقومون به على أكمل وجه، فعالم الملائكة ليس به تمرد أو جدال، هنا تطيع دون أن تسأل.

ازدادت حدة صوتي قليلًا:

- لا، أنت مخطئ، لقد تمردتم من قبل، أو بمعنى أخر، عصيتم أمرًا بإرادتكم، فندما أمركم الله بأخذ قطعة من كل بقعة من الأرض لخلق (آدم)، لم يفعل ذلك سواك، بالرغم من مقدرتهم على فعلها، أليس في هذا معصية لأمر الله؟! لكم الإرادة دائمًا، ولكنكم تهابون استخدامها.(*)

*) من الإسرائيليات.

obeikandl.com

لماذا لم تتوتر ملامحه؟!، أعلم أنه يدرك موقفه الصعب هنا، ولكنه يخفي ذلك بتلك الابتسامة التي على شفتيه..

- ليس الأمر كذلك، لولا أن استعاذت الأرض بالله، لكان أول ملاك نزل إليها، اقتطع منها أجزاءًا..

- هذا ليس عذرًا لمخالفة الأوامر، وإن كان شيئًا مقبولًا، فأنا استحلفك بالله أن تترك (نضال) يعيش، فهو لا يستحق الموت، وأهله يكفيهم عناء.

تتسع ابتسامة (عزرائيل الكبير)..

- ألم تقل منذ قليل أنني من استطاع أخذ قطعًا من الأرض -عكس باقي الملائكة- رغم مناجاتها؟! إذًا تدرك جيدًا أنا هذا الأمر لا يجدي معي نفعًا.

صدمني قوله، اعتقدت أنني أملك زمام الأمور!

- على الأقل إذًا اشرح لي أسبابك.

- هي ليست أسبابي، إنما هي أوامري.. ثم أن (نضال) مريض، فالموت رحمة له ولعائلته.

إذًا كان يحاول اقناعي بتلك الطريقة، فهذا فاشل جدًا..

- ليس في الموت رحمة، فالرحمة هي أن تعطي شخصًا أملًا في الشئ، لا أن تأخذه منه.

- على ما أذكر-في حياتك السابقة- لقد طلبت الرحمة عن طريق الموت، ألم تفعل ذلك؟!

سرحت قليلًا في ماضي، عندما كنت إنسانًا، كم أدرك أنني كنت مخطئًا الأن، وأن حالي لم يكن الأسوأ بالمقارنة بالحياوات التي أراها الأن.

- دعك مني أنا، لقد كنت مخطئًا، فلا تجعلني أرتكب خطأ آخر.

تبدلت ملامح (عزرائيل الكبير) لتختفي تلك الابتسامة الساخرة، ويحل محلها نظرة صارمة، قائلًا:

- ما تفعله الآن هو الخطأ، لقد صبرت عليك كثيرًا، إن أردت أن تصبح عزرائيلًا فلا تجادل، أما إذا أردت أن تنهي الأمروتنهي روحك لتذهب للحساب، فلك الحق في ذلك.

الحساب!، لا أضمن مصيري إذا ذهبت للحساب الأن، فحياتي كإنسان لم تكن كما يجب.. تابع (عزرائيل الكبير):

- لقد أضعت من الوقت الكثير، لم يبق لديك سوى يوم واحد.

ثم يعطني ظهره، ويتابع ذاهبًا:

- ولكن ما فعلته هذا لن يمر مرور الكرام، فلكل شئ عواقب هنا، ولذلك سوف أعطيك الخيار..اذهب واسأل (نضال) إذا وافقت روحه الذهاب معك، فاتركها ولا تأخذها، ولن تُحسب لك روحًا من الخمس أرواح المطلوبين، أما إذا رفضت وتمسكت بالحياة، فلتأخذها.

شجاعتي اختفت الآن، واختفى (عزرائيل الكبير) أيضًا من أمامي، بعد أن صعب الأمور عليَ وأعطاني خيار زائف، فأنا أدرك الآن أنني حقًا لا أملك اختيار قراراتي، وربما يزداد الأمر سوءًا في المستقبل.

******

نائم (نضال) على الفراش، أقف بعيدًا اتطلع إليه، لا أعلم إن ذهبت إليه هل سوف يوافق أن يذهب معي في صمت فينجو بنفسه، أم أنه سيعترض ويتمسك بالبقاء؟!

لا أعلم أنا أيضًا ماذا أريد، كطفل أراه أمامي، وكأسرة شاهدت معاناتها، أريد لـ(نضال) الحياة، أما لمصلحتي أنا، ولكي أنجح في اختباري، اتمنى موته!

أعتقد أن مهما كان اختياره، فلن يريحني، سوف أعاني في كل الأحوال.

- أهلًا (نضال)، أتستمتع بحياتك هنا؟!

أنا الآن في مواجهة روحه البريئة.. لن يعارض موته، فعينيه خالية من أي لؤم،

سوف يكتب له النجاة، وأنا لست بحزين، بالرغم من أنها كانت روح سهلة المنال.. ولكن منح الحياة أفضل من أخذها في جميع الأحوال..

- نعم، أستمتع بحياتي، من انت؟!

إجابة غير متوقعة! لقد اعتقدت أنه يعاني مما أصابه، ونظرة عينيه الحزينة لا تقول أنه مستمتع حقًا..

- كيف هذا وأنت حزين هكذا؟!

يمد شفته السفلى في زعل، لترتسم براءة الطفولة على وجهه..

- لقد فقدت كرتي.

كرة؟! عن أي كرة يتحدث، هل روحه طفلة مثل جسده؟!

- كرتك؟!

- نعم، لقد كنت ألعب بها هنا، مع صديقي، ولكنها اختفت فجأة منذ ظهورك، هل أخذتها؟

يبدو أن الأمر أصعب مما تصورت..

- لا، لم أخذها،دعك منها الآن وتعالى معي..

- إلى أين؟! لن أذهب إلى أي مكان بدون كرتي وصديقي!

هل هذا يعتبر رفضًا؟! أم أنه بمجرد أن يجد كرته وصديقه المزعوم، ووافق على القدوم معي تعتبر موافقة فأتركه يعيش؟! يا إلهي، إن الأمر صعب بحق، لكي آخذ روحه لابد من إقناعها، وإن أقنعتها، سوف تكون متقبلة للذهاب، وإن وافقت علىّ أن أتركها! في جميع الأحوال سوف أتركها تعيش، ولكن (عزرائيل الكبير) أراد مني المعاناة في إقناعها دون أن تحسب روحًا من الخمس أرواح.

- إذًا لم تترك لي الخيار.

سوف آخذ روحه عنوة إذًا، لقد رفض القدوم، فمن حقي أخذ الروح، أمسكت يده لأنطلق به..

- إلى أين تأخذه يا هذا؟

استوقفني هذا الصوت، فنظرت حولي، لأجد نسخة أخرى من (نضال) ولكنها كبيرة، ترتدي ملابس ضابط، ينظر إليّ بتكبر وتعالي، ويتلمس سلاحه المعلق بجانبه في تهديد واضح.

- ما هذا الذي يحدث؟!

يبتسم (نضال) الطفل إلى (نضال) الكبير بامتنان -وكأن منقذه قد أتى- قائلا:

- هذا أنا عندما أكبر، سوف أصبح ضابط، وأقتل كل المجرمين.

يبدو أن روح (نضال) أكبر من جسده بقليل، فهو يحلم بأن يكون ضابطًا، هو لا يدرك ما أصابه من مرض، لا يدرك أنه لا يستطيع أن يكون ضابطًا، مسكين، هل بالفعل من الرحمة أخذ روحه؟! لا أدري ولكن المهم الأن، أنني في قلب هذا الحلم، لا أتحمل كل هذا الهراء، سوف أنهي الأمر الآن..

- كفانا لهوًا، سوف تأتي معي الآن.

أنهيت جملتي، وأنا أجذبه من يده، ولكن استوقفني (نضال) الكبير قائلًا وهو يخرج سلاحه مصوبًا إياه على قدمي:

- بل، سوف تذهب أنت معنا.

ويطلق النار.

أظلمت الدنيا أمامي، قبل أن تتحول الرؤية إلى مكان كبير به خضرة، وأنا أقف في المنتصف بداخل قفص حبيس!

تقف أمامي روح (نضال) بنسختيها الصغرى والكبرى، يبدو أنه هو المتحكم في حلمه، وأنا الآن جزء من هذا الحلم!

يتحدث (نضال) الصغير إلى الكبير قائلًا:

- هيا بنا نملأ هذا القفص بالمجرمين، ثم نقتلهم جميعًا.

هذه المرة الثانية التي يردد فيها كلمة القتل، يبدو أن القتل غريزة في الإنسان يولد بها، فبدلا من أن يجول بخاطره حبس المجرمين ومحاولة إصلاحهم، قرر قتلهم!

الأن سوف أذهب وحدي، فالنيل منه في حلمه صعب جدًا، الأمر كله أصعب بكثير مما مررت به سابقًا، ولكن..

لنا لقاء آخر.

***

obeikandl.com

سلمى

أشعر بالسعادة..

نعم، بالرغم من أنني أفكر في قتل زوجي، أشعر بالسعادة، فموته رحمة بالنسبة لي، ليس هذا فقط، وإنما ثراء أيضًا، سوف أكون المالكة الوحيدة لكل شئ، فليس له أقرباء على ما أذكر.

والأهم من ذلك، سوف أعيش مع من أحب، حتى لو كانت تلك المعيشة بدون أوراق رسمية، يكفيني أنني مع من أحب لأول مرة في حياتي، وأيضًا سوف يشارك معي فى التخلص من (أحمد).

الأن، كل ما عليّ، أن أفكر في الطريقة، كيف لي أن أتخلص من زوجي دون أن يكون لي علاقة بالأمر؟!

ليس الأمر بتلك السهولة، خصوصًا أن (أحمد) يشك في دائمًا، هو لا يثق بي، ويتوقع أن أفكر في التخلص مه في يوم من الأيام، وبالتالي لابد أنه محتاط جيدًا.

تعبت من التفكير، ربما يصل (هشام) إلى فكرة ما، فهو شاب ذكي، وهدوءه الدائم هذا يجعلني أثق في قراراته.

وكأنه قد سمعني، وجدت الهاتف يرن بجواري، وإسمه على شاشته، فأجبت مسرعة:

- أهلا (هشام) كنت أفكر بك.

جائني صوته من الجانب الآخر، بارد لا يحمل الكثير من المشاعر كالمعتاد، ولكنني أحبه.

- تفكرين بي، أم تفكرين في الطريقة التي تنوين بها قتل زوجك؟!

دائمًا يقرأ أفكاري، حتى لو كان لا يقول ذلك، حيث أنه قليل الحديث، ولكني دائمًا أشعر أنه يعلم ما يدور بخلدي.

- نعم، كنت أفكر في الطريقة، وفشلت في أن أجد واحدة، ولكنني كنت أفكر فيك أيضًا، وأنك من الممكن أن تكون قد توصلت لكيفية قتله، أليس هذا سبب اتصالك بي؟

- لا، لم أجد طريقة بعد، ولكنني أتصل بك لكي نتقابل مرة أخرى، مثل آخر مرة، لقد كان هذا ممتعًا، ومختلفًا عما كنا نفعله بالمقابر، الشعور مختلف حقًا.

إنه يتحدث عن معاشرتنا الأخيرة، هنا في بيتي، لقد راق له الأمر! هذه هي المرة الأولى التي يعبر عن مشاعره صراحة، وهذا ما جعلني أوافق وأحدد ميعاد أخر لنتقابل هنا، في منزلي وعلى فراش زوجي الذي نخطط لقتلة!

لا، لا تفكر في ذلك، أنا لا أشعر بالندم مطلقًا، أو استنكر الأمر، على النقيض، أنا استلذ فعل ذلك جدًا، حتى لو كان في هذا خطورة على سُمعتي.

***

مراد

بقيت ساعتان، ولا أعلم كيفية أخذ روح ذلك الطفل، فهو غارق في أحلامه وخيالاته طوال الوقت، وكلما حاولت دخول عالمه، يسيطر هو على مجرى الأمور!

اتطلع إلى (نضال) الأن، يبكي بصوت صارخ، ممددًا على سريره الصغير، بينما والدته تجلس بالقرب منه وتنظر له ببكاء، هي تعلم في داخلها أنهم سوف يعانون كثيرًا، هي وزوجها، وأيضًا (نضال)، إذا كان الطفل العادي يعاني لكي يترعرع ويعيش عيشة كريمة في مصر، فما بالك بطفل مريض ذهنيًا..!

- أتريد مساعدة؟!

التفت لمصدر الصوت، لأجد أمامي شخص أنيق، ويرتدي بذلة سوداء.. مهلًا، أنا أعرف ذلك الشخص، إنه (حسام) أول روح نجحت في أخذها! ولكن كيف يعقل هذا؟!، هل للروح أن تعود مرة أخرى؟!

- (حسام)؟! كيف عدت إلى هنا؟!

يضحك الشخص بقوة، حمدًا لله أن لا أحد يستطيع سماعنا.

- أنا لست (حسام)، أنا فقط أتجسد بشكله لكي أبدو مألوفًا لك، فالروح لا تستطيع النزول مرة أخرى بعد أخذها، أو بالأحرى، لا تستطيع النزول في نفس الجسد مرة أخرى، ربما في جسد أخر، لا أدري حقًا..

- إذًا من أنت؟

- أنا من يريد مساعدتك، أراك عاجزًا أمام تلك الروح.

من هذا الشخص، أو هذا الشئ، وكيف علم أنني (عزرائيل)، وكيف يراني من الأساس؟!

- هل أنت ملاك أرسلك (عزرائيل الكبير) لمساعدتي؟

- ربما.. المهم الأن، هل تريد مساعدتي أم لا؟

ردوده غامضة مثله! ولكن كيف سيساعدني إن لم يكن عزرائيلًا هو الأخر؟

- كيف ستكون تلك المساعدة؟

اتسعت ابتسامته أكثر، وكأن موافقتي على مساعدته لي كان ظفرًا بالنسبة له!

- روح الأطفال تكون صعبة المنال، لأنها دائما تكون هائمة في أحلامها وخيالاتها، بالإضافة إلى صغرها وصعوبة فهمها للموقف، وبالتالي يصعب إقناعها.

لا جديد فيما يقول.

- اكتشفت هذا فعلًا، ما الجديد؟

- ليس الاقناع فقط هو الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها أخذ الروح، وإنما القوة أيضًا..

هذا الشئ يضيع وقتي، لم يتبق سوى ساعة ونصف الساعة فقط.

- أردت فعل ذلك بالفعل، ولكن كما قلت أنت، تكون الروح منطلقة يصعب السيطرة عليها، وبالتالي لا أجد الوقت الكافي لاستعمال القوة.

هذه المرة، ألاحظ نظرة مع ابتسامة خبيثة.

- لكي تهمد الروح ويسهل السيطرة عليها بالقوة، يجب أولًا إضعاف الجسد، أو يستحسن إخماده نهائيًا.

هذا صحيح، فكلما كان الوعاء ضعيفًا، كان امتلاك الروح أسهل..

- وكيف أفعل ذلك؟!

- أنت؟! لن تفعل شئ، أنا من سيفعل، فهذه هي وظيفتي في تلك الدنيا، كل ما عليك هو الموافقة، ثم استغلال الفرصة التي أتيحها لك.

وظيفته؟! ماذا ينوي أن يفعل، ولماذا لا أشعر بالارتياح.. تابع هو:

- فيما تفكر؟! لقد ساعدت أكثر من (عزرائيل) من قبل، هيا، الوقت يمر.

بالفعل، الوقت يمر بسرعة، ليس أمامي سوى ساعة واحدة؟!، لا يوجد عندي خيار آخر.

- حسنًا، فلتفعل ما تفعله.

اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر، قبل أن يختفي من أمامي.

لحظات، ثم دقائق، ولم يتغير شئ، ولكن فجأة، أجد الأم تنتحب في البكاء وهي مازالت، تنظر إلى الطفل الباكي.

البكاء يتصاعد أكثر وأكثر، قبل أن تقف الأم متجهة إلى (نضال)، ثم تأخذ من الجوار إحدى المخدات، وبصرخة باكية من أقصى أعماقها، تضع المخدة على وجه (نضال) لتكتم صرخاته وأنفاسه، ولم يبقى سوى صوت صرخات الأم!

يا إلهي!، إنه شيطان! لقد أقنع (جميلة) بأن تقتل ولدها (نضال)! بالتأكيد رسخ في عقلها فكرة أن موته رحمة له شخصيًا، وأنه سوف يعاني في الحياة بمرضه هذا، فمن الأفضل أن يموت!

يالجبروته! في دقائق، أقنع أم بأن تقتل ابنها!

من الممكن بالفعل أن يكون الموت رحمة له، ولكنه بالتأكيد سوف يكون عذابًا للأم طوال حياتها!

- ماذا تنتظر، هيا تحرك.

هذه المرة لم يظهر، وإنما تردد صوته في ذهني، أو ربما صوتي أنا، فتلك هي الفرصة المثالية لتنفيذ مهمتي بنجاح.

حسنًا، ربما حان الوقت الآن لأطوي صفحة (نضال)، وأضيف مهمة أخرى ناجحة إلى رصيدي.

***

obeikandl.com

أنا الموت يعذبكم...

أنا العذاب والنجاة..

أنجيك من عذاب الدنيا..

لتذهب إلى عذاب من نوع آخر..

أنا الموت، أنا المجهول..

أنا الموت..

أنا لا أعرف الرحمة.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٤)

الماضي، الحاضر، المستقبل
كلها تفاهات لا يكترث إليها
المـــــوت

obeikandl.com

obeikandl.com

هشام قبل أن يصبح بشرًا

يقف (هشام) أو (عزرائيل) حيث أنه لم يصبح (هشام) بعد، يتطلع إلى تلك العائلة عبر النافذة بعينيه البيضاء.. هو هنا ليس لقبض روح أحدهم، وإنما يستمتع برؤية السعادة في وجه عائلة من البشر!

هو اعتاد دائمًا أن ينهي الحياة، ولكن في داخله، هو يتمنى أن يعيش الحياة، حيث أن حياته بالنسبة إليه لا تعتبر حياة، وإنما روتين ثقيل.

لا يدري لماذا يفكر هكذا، من المفروض أنه يطيع الأوامر، هذه هي وظيفته، اقتل فلان، يذهب ويقتل.. لا يشعر بشئ، حتى وهو يشاهد تلك العائلة لا يشعر بشئ، وإنما يريد تجربة شئ جديد، وربما يريد تجربة تلك المشاعر، فبحكم عمله، مر عليه العديد من الكائنات التى أزهق روحها، رأى حياتهم، لمس مشاعرهم التي لم يفهمها، الحزن، الحب، الكره، وغيرها من المشاعر.

ظل يتابع العائلة بعض الوقت، يتابع لحظات فرحها، حزنها، أو حتى لحظات نومهم أو صمتهم، فبالنسبة له، حتى الصمت، اختيار من ضمن العديد من الاختيارات، بينما هو لا يملك أي خيار، فهو مجبر على كل شئ.

هل يريد أن يكون بشرًا؟! هو لا يدري حقًا، بالرغم من أنه يحسد فيهم حرية اختيارهم، إلا أنه دائمًا ما كان ينقدهم! كيف يترك شخص ما مشاعره هي التي تقوده؟! كيف بسبب الحب يفعل الشخص أكثر الأفعال بشاعة؟! لماذا دائمًا

obeikandi.com

البشري يفضل الخطأ على الصواب؟! ألأن البشر خطاؤون؟! أعتقد أنني لو أصبحت بشريًا في يوم ما، لن أقوم بتلك الحماقات.. هكذا كان يقول لنفسه.

يعود مرة أخرى إلى موطنه، أرض عزرائيل، ليجد (عزرائيل الكبير) في انتظاره.

- غدًا هو أخر يوم لك هنا.

قالها (عزرائيل الكبير) هكذا دون مقدمات، بينما ظل (عزرائيل) -هشام- صامتًا، منصتًا.

- المهمة القادمة سوف تكون الأخيرة بالنسبة لك، قبل موتك.. سوف تأخذ روح شخص يدعى (مراد).

منذ قليل، كان (هشام) يتطلع إلى تجربة أن يكون بشرًا، أما الآن أصبح ينتظر نهايته! ألا يستحق فرصة أخرى كما تفعل أرواح البشر؟!

هذا ما جال بخاطره، ولكنه لم يبح به مطلقًا، فليس من حق عزرائيل أن يجادل.. على عكس البشر.

******

(مراد) شاب في الثلاثينات من عمره، يعيش في شقة صغيرة بمنطقة العتبة، أووسط البلد كما يطلقون عليها، يعيش وحيدًا في تلك الشقة بعد موت والديه، وتقريبًا، لا يوجد أحد من أقاربه.. فهو وحيدًا، لا يوجد له عائلة، بالمعنى الحرفي للكلمة.

يعمل (مراد) موظفًا بإحدى المصالح الحكومية، عملٌ روتيني ممل، مرتب ضئيل، مما جعله لا يستطيع الذهاب لخطبة حبيبته (ناهد)، فهما يحبان بعضهما منذ أكثر من ثلاث سنوات، ولكنه لا يستطيع التقدم لخطبتها بمرتبه الضئيل هذا، فهي من عائلة ثرية، ووالدها لن يقبل بذلك مطلقًا.

دائمًا يرى (مراد) نفسه أكبر مثالًا للأفلام العربية التي يراها بالتلفاز، البطل الذي يحب البطلة، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا بسبب الفارق الطبقي بينهما،

ولكن في تلك الأفلام، البطل في النهاية يستطيع أن يقنع عائلة حبيبته بأن المال ليس كل شئ، وأنه شخص جدير بابنتهم، ثم يتزوجان!

حسنًا، هذا لا يحدث في الواقع، الحقيقة، أن جاءه خبر عُرسها على أحد أقاربها الأثرياء، وانقطع اتصالاته بها، أو بالأحرى، هى من قطعت اتصالاته بها، فمن غير اللائق أن تحادث حبيبها القديم وهي متزوجة!

(ناهد) كانت الحياة بالنسبة إلى (مراد)، كان يعتبرها عائلته التي افتقدها، ولم يكن يتصور مطلقًا أنها سوف تتركه فجأة هكذا، دون أي مقدمات، تنقطع الاتصالات بها، ثم يجدها قد تزوجت!

هو كان يعلم أن ارتباطهما صعبًا، وربما مستحيلًا، ولكنه تصور قتالًا أكثر مما حدث، تصور بكائًا، تصور أن يتحدثا ليلًا كل يوم باحثين عن حلول للوضع الراهن دون جدوى، ثم يحدث ما حدث!

لا يعلم ما ألمه أكثر هو فراقها، أم فراقها بصورة مفاجأة؟! ولكنه تذكر الآن عبارتها التي كانت تقولها له دائمًا:

- لن يأت اليوم الذي أحملك فيه ما لا طاقة لك به.

ألهذا تركته وتزوجت دون أن تخبره؟!، لم تكن تريده أن يتحمل عبء إيجاد حلول مستحيلة، فاختارت الصمت وتقبل مصيرها.

حاول أن يقنع نفسه بهذا الكلام، ولكنه لم يقتنع، فهو الآن يحمل عبء أكبر بكثير مما كان سوف يحمله لو كانت لجأت إليه!

استطاع أن يعرف مكان سكنها هي وزوجها، ظل يراقبهم أكثر من سنتين دون أن تلاحظ هي، وفي كل مرة أراد أن يقتل (عصام) زوجها، ويخطفها، ويتزوجها، ولكنه لم يفعل، خصوصًا بعد أن أصبح لهما ابنة!

لماذا لا نستطيع أن نتحكم في مصائرنا أو مصائر الأخريين؟، لماذا لا نملك تلك القوة؟!

هكذا ظل يسأل نفسه، حتى استقر على أنه يستطيع أن يتحكم في مصيره..

فمثلًا..

يستطيع الانتحار!

******

- لماذا تحادثني؟!

قالها (مراد) –أو بالأحرى روح (مراد)- وهو في رحلة الصعود مع (عزرائيل)..

- انت أردت الحديث.

بالفعل هو من بدأ الحديث، كان يتسائل إلى أين يذهب، ما هو مصيره، هل هو الآن ذاهب إلى الجنة أو النار؟! هل فعلًا يوجد جنة ونار، أم أنها مجرد خرافات؟!

لم يصل (مراد) إلى إجابة، حيث أن (عزرائيل) كان مختصرًا في كلامه، غير مفيد، ولكنه على الأقل يتحدث، وهذا ما لم يكن يتوقعه (مراد)، كان تصوره عن الموت هو الذهاب مباشرة للحساب أو أشياء أخرى غير الحديث مع قابض الأرواح!

- وهل هذا يحدث مع الجميع؟

فقط أراد أن يتأكد من أن الأمر طبيعي ولا تنتظره مفاجآت، ولكن الإجابة لم تطمأنه بالتأكيد.

- تقريبًا، ولكن بطرق أخرى، هذه مختلفة.

إذًا، فالأمر ليس طبيعيًا، هناك اختلاف، هل هذا شئ جيد؟! كان (مراد) قلقًا حقًا، ولكنه لا يدرك أن من يحمل روحه، قلق هو الأخر!

لقد كان الطريق طويل جدًا هذه المرة، فكل مرة عندما يقبض روح ما، يصل بها إلى مدينة عزرائيل في ثوان معدودة، ربما يتبادل فيهم بعض من الكلمات مع الروح، ولكن هذه المرة تحدثا في مواضيع شتى، هل المرة الأخيرة دائمًا هكذا؟!، هو لا يدري، فهو لم يمت من قبل!

- هل استمتعت بحياتك؟

كان السؤال مفاجئًا لـ(مراد)، لقد اعتاد طوال الطريق أنه هو من يسأل و(عزرائيل) يجيب!

- حياتي؟! الحياة ليست للاستمتاع، لقد خلقنا لكي نتعذب ثم نموت، ثم نتعذب مرة أخرى، الحياة ما هي إلا لحظة سعادة مؤقتة وأيضًا لا تدوم طويلًا، حتى يأتي الموت.

- ولكنك تمتلك الإرادة.

يبتسم (مراد) ساخرًا:

- إرادة زائفة، إذا أردت أن تفعل شيئًا ما ولكنك لا تستطيع لأسباب ليس لك دخل فيها، فأين الإرادة هنا؟!، أين الإرادة وأنت لا تتحكم بمصيرك؟! ربما أنت لا تشعر بذلك، فأنت من يتحكم بمصائر البشر.

كانت الحسرة تملأ (عزرائيل)، أو شئ يشبه ذلك، فالمشاعر بالنسبة له مدفونة أو غير موجودة.

- نحن لا نتحكم بمصائر أحد، نحن فقط ننفذ الأوامر دون نقاش أو مجادلة.

- حتى لو كنت كذلك، على الأقل أنت أقوى من أي بشري، والسيطرة دائمًا للأقوى.

«هذا البشري لا يفهم شيئًا، لم يقدر الحال التي كان بها، على الأقل كان بشرًا، يمتلك الإرادة، يشعر بالأشياء، مسموح له بالخطأ، فالبشر خطائون، على عكسنا نحن، فالملائكة لا تخطئ، أو ليس مسموحًا لهم بالخطأ، وبعد كل ذلك، من الممكن أن يأخذ البشري فرصة أخرى في الحياة، وليس الملاك!»

هكذا كان يفكر عزرائيل في تلك اللحظة، ولكنه لم يفصح عن ذلك، مجرد أفكار تخطر بعقله ولا يستطيع طردها، وهو يعلم جيدًا، أن حتى التفكير في عالمه، غير مسموح.

***

عزرائيل الكبير

أتحدث إلى من يسمعني..

ربما أنت أيضًا لا ترضى بما أنت عليه، ربما تريد أن تكون عزرائيلًا، وإن كنت كذلك، ربما أردت أن تكون بشرًا! وربما تريد أن تكون شيئًا آخر غير نفسك مهما كنت..

ربما تريد أن تكون أنا!

لكن من قال لك أنني أردت أن أكون ما أنا عليه الآن، كل ما فعلته هو طاعة الأوامر وفعل ما عجز عن فعله غيري، وهو اقتطاع أجزاء من الأرض عندما توسلت ألا أفعل، كيف لا أفعل وهو أمر من الله؟!

لذلك كافأني الله بأن أعطاني تلك المدينة، مدينة عزرائيل، وسخر لي جنودًا، وترك لي اختيار مصائر البشر، ترك لي اختيار من أقتل ومن أترك!

كنت في البداية أرى أن هذا عملٌ بغيض، وهو عقابٌ وليس مكافأة، وأن البشر وغيرهم من الكائنات سوف يكرهونني أنا وجنودي، وبالفعل، كل بشري يسمع اسمي أو اسم أحد من جنودي يستعيذ بالله وكأنني شيطان رجيم، هذا ما يظهر أمام الجميع، ولكن الحقيقة هي أن كل شخص طوال حياته تمنى أكثر من مرة أن يراني، كلما مر بعقبة ما، تمنى الموت، وعندما يمر من تلك العقبة بسلام ينسى ما تمناه، ثم يستعذ مني عند ذكر اسمي أمامه.

أنا محبوب ومكروه على حد سواء، وهذا يرضيني، ولكن لا تتصور أنني بالفعل أملك المصير، أو أنني أملك الحرية المطلقة في أخذ حياة ما، أنا بالفعل آمر بأخذها،

ولكني لا أدري إذا كان الأمر سوف ينجح بالفعل أم لا. فأنا أجلس أمام تلك الشجرة انتظر قدر كل روح.

شجرة كبيرة، في منطقة لا يدخلها غيري، شجرة مدون على أوراقها جميع الأسماء، جميع الكائنات الحية، وعندما آمر بأخذ روح ما، أجلس هنا، أمام الشجرة، انظر إلى الورقة التي تحمل تلك الروح، إذا ذبلت ووقعت، فاعلم أن الأمر قد نجح، وأن الله قد أمر بذلك، حيث أن جميع المصائر مدونة باللوح المحفوظ، لا يطلع عليها أحد.

إذًا الأمر في الحقيقة ليس بيدي، أنا جندي أخر في تلك الحياة، ولكني جندي رفيع الشأن.

لا أنكر أن الأمر مسلٍ أيضًا في بعض الأحيان، فمثلًا، عندما أعطي فرصة أخرى للحياة إلى روح ما، وأنا أدرك جيدًا أنها ستفشل مرة أخرى، فأنا استمتع بمشاهدة ذلك.. أنا أدرك فشلها ليس لأنني أرى المستقبل، ولكنني أعلم أن الفشل هو السائد، وخاصة عند الإنسان، فهو يستمتع بالفشل، يرى الخطأ أمام عينيه ويفعله، ثم يندم عليه كثيرًا قبل أن يفعله مرة أخرى عند إتاحة الفرصة له لتكراره!

المتعة الأكبر، عندما يريد جندي من جنودي فرصة أخرى ويريد أن ينجح، ليس من حق (عزرائيل) أن يتذمر، فهذا من طبع البشر فقط، ولكن عندما يفكر أو يتمنى بأن يكون بشريًا، طمعًا في تلك الإرادة الزائفة، فأحق عقاب له هو تحقيق أمنيته، ثم الاستمتاع بالمشاهدة.

لن أتحدث عن البشري الذي يريد الفرصة لكي يصبح عزرائيلًا طمعًا في القوة، فهذًا يحدث كثيرًا، ولكن لا أحد يجتاز الاختبار، فالبشر متمردون، لا يمكن أن يتحولوا إلى ملائكة في يوم ما.

هذا كل شئ الآن، ولا تتعجب أنك تسمع كل تلك الأسرار، فأنا أعلم جيدًا أنها سوف تظل أسرارًا، لأنك أيها المنصت عندما تسمع تلك الكلمات.. لن تكون في عالم الأحياء.

***

obeikandl.com

أنا الموت ينذركم...

أنا وحدي الحقيقة في دنيا كاذبة..

أنا من يراقبك منذ ميلادك، يلهو جوارك، يشهد نضوجك..

أنا أيضًا من يرى أفعالك، أخطائك وخيراتك..

أنا الشاهد الوحيد على حياتك المحدودة..

حياتك، سعادتك، حزنك، ألمك، أملك ويأسك، كل هذا محدود.. وأنا الذى أحد عالمك وأنا من أنهيه..

فأنا لا نهائي..

كيف تكون لي حدود أو نهاية؟!

وأنا النهاية.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٥)

الموت قرار لا تتخذه أنت.. حتى لو تصورت أنك فعلت.

obeikandl.com

obeikandl.com

(نور) فتاة في الرابعة من العمر، جميلة مثل والدتها (ناهد)، فالجميع يقول أنها أخذت منها شعرها البني، والعيون الواسعة السوداء، ولكنها لم تأخذ شئ من والدها (عصام).

تحبها (ناهد)، تعيش لأجلها فقط، ربما في البداية لم ترد الإنجاب من (عصام)، ولكنها الآن مدركة خطئها، فليس معنى أنها لا تحب زوجها، أنها سوف تكره طفلتها، فالطفل شئ، والزوج شئ أخر، ثم إن مشاعرها اتجاه (عصام) قد تغيرت.

في البداية، هي أُجبرت على الزواج من (عصام)، حيث أنها كانت تحب شخصًا أخر، تحب (مراد)، ولكنها -في قرارة نفسها- تدرك أن هذا الحب لن يدوم طويلًا، أو على الأقل، نهايته لن تكون سعيدة، فـ(مراد) لم يكن حاله ميسور، لا يرتقي إلى عائلتها كما يراه والدها، وكانت تقول له ذلك، وتقول لنفسها أنها سوف تتركه في الوقت المناسب، لا ضير من الاستمتاع بالحب لفترة قبل العزاء على نفسها طوال العمر القادم.

وبالفعل، عاد (عصام) -قريبهم الذي كان يعمل بالخارج- من السفر لكي يأخذ ما كان يملك منذ الصغر، حيث أنهما مخطوبان لبعضهما قبل أن يأتيا إلى تلك الدنيا، وبالطبع لا تملك الاعتراض.

وبدون محادثات مع (مراد)، قطعت كل صلة لها به، لم تدع مجالا للصدفة كي يتقابلا يومًا، حتى لم تحاول أن تعرف أخباره من بعيد، حاولت أن تنساه، وهي بالفعل كانت مستعدة لذلك اليوم، وتمنت أن ينساها هو الأخر.

توقعت أن تعيش مع (عصام) فترة من أتعس فتراتها، فترة لن تنتهِ حتى الممات، ولكنها كانت مخطئة، فمن المعاملة الحسنة والود ينشأ الحب.

نعم، بعد فترة بدأت تكن له المشاعر، بدأت تستمتع بحياتهما معًا، وتدريجيًا تناست (مراد) وأصبح صفحة ماضية انتهت في الواقع وفي داخلها أيضًا.

حتى جاءت (نور)، رغم أنها كانت لا تريد الإنجاب، ولكن حدث ما حدث، وتحمد الله على أنه حدث.. لقد كان قرارها سابقًا لأنها لا تحب (عصام)، إنما الآن هي تحترمه، وتحبه، ليست مغرمة به، ولكنها لا تكرهه، و(نور) زادت من ارتباطها بـ(عصام).

أربع سنوات منذ قدوم (نور) تغير كل شئ في داخلها، تغير معنى الحب من حب فرد إلى حب العائلة، حب الأسرة، وهو الحب الأقوى والمستمر، حب تتمسك به مهما كانت العقبات أو الظروف، حب لا ينهيه سوى الموت.

***

obeikandl.com

مراد

رأيت حياة (ناهد) حبيبتي السابقة والحالية، وحبيبتي كل وقت، وأيضًا حياة ابنتها (نور)، بقدر ما كنت سعيد لأنني أراها مرة أخرى، حزين لأنني أراها في أحضان غيري! والأكثر كآبة أنه لا يوجد سوى معنى واحد لعرض حياتها علىَ.. أنها هي ضحيتي التالية!

لكن ابنتها (نور) هي الأخرى معها في رؤياي بنفس القدر! هل تلك المرة هناك ضحيتين؟!

- هي ضحية واحدة ككل مرة.

كان هذا صوت (عزرائيل الكبير)، نظرت إلى حيث يقف.. فتابع:

- ولكن سوف تختار ضحيتك بنفسك من بين إثنتين.

هذا يعني أن هناك بالفعل ضحيتان، تموت أحداهما!

- لماذا هذين الإثنين؟! أنت تعلم بالتأكيد ماذا يعنيان بالنسبة لي؟!

تحرك دون هدف معين وهو يجيب:

- أنا أعلم ماذا كانت تعني (ناهد) بالنسبة لك، إنما (نور) لا أعلم الحقيقة.

غضب هادر يجتاحني من الداخل الأن.

- (نور) تعني كل شئ بالنسبة لـ(ناهد)، وبالتالي هي تعنيني أيضًا.

لا أعلم، صوت (عزرائيل الكبير) أصبح ساخرًا أم شامتًا:

obeikandl.com

- عجبًا، في آخر حياتك كإنسان كنت تريد الانتقام، كنت تريد القتل.. والآن ترفض فعل ذلك.

- نعم، ولكني كنت أريد ذلك لزوجها.

- زوجها الآن يعني لها الكثير أيضًا، من قال لك أنها سوف تكون جيدة بدونه؟!

كلامه كان مقنعًا، فـ(عصام) الآن أصبح مهمًا بالنسبة لـ(ناهد)، وإن أصابه مكروه سوف تسوء حالتها، ولكن بالتفكير في الانتقام، لماذا انتقم من زوجها؟! أليست هي من ألمني؟!، ليس هذا فحسب، لقد تناستني مع الوقت، وأصبحت ذكرى لا تزور عقلها أبدًا.. ولكنني أحبها، بل أعشقها، ولا أستطيع أذيتها.. معاقبتها سوف تكون معاقبة لي أكثر منها.

- فلتخترلي روح أخرى أرجوك!

أتوسل إلى (عزرائيل الكبير) لعله يرأف بحالي، ولكن من قال أن (عزرائيل الكبير) يعرف معنى الرأفة أو الشفقة، أشعر أنه يستمتع بعذابي.

- أمامك يوم واحد، اختر روحًا واحضرها إلى هنا.

كاد أن يذهب، ولكنه توقف مرة أخرى متابعًا:

- حاول ألا تستعين بصديق لا تعلم عنه شيئًا مرة أخرى، فهذا يزيد من موقفك سوءًا.

ثم اختفى.. هل يقصد بالصديق ذلك الكائن الذي ساعدني في أخذ روح (نضال)؟! هل هو (إبليس) بالفعل، وأنا استعنت به؟! ألهذا كلفني بتلك المهمة الصعبة كنوع من العقاب؟!

ألا يوجد غفران هنا؟! الخطأ يُرد بعقاب فوري؟!

هذا الذي فيه.. تلك المهمة.. ليست عقابًا، وإنما هي قتلًا للجزء النابض بي كإنسان..

فعزرائيل لا يملك قلبًا.

***

openkanal.com

أحمد

في اللحظة الأولى، عندما تنظر إليّ، ستخالني أشاهد أفلامًا إباحية، نعم هو فيلم إباحي، ولكن ليس كما تظن، فإن دققت النظر أكثر سوف تجد أن بطلة الفيلم هي زوجتي (سلمى)، والمكان هو غرفة نومي.

لا تتعجب هكذا، فأنا أضع الكاميرات في كل مكان بالشقة دون علمها، أراقبها، لا أثق بها، كيف لي أن أثق بامرأة شاركت في قتل والدها؟!

مندهش أنني ابتسم الآن؟! لماذا لا ابتسم؟! لقد صدقت توقعاتي في شخصية (سلمى)، هذا غير أنها محترفة حقًا في ممارسة الجنس.. لماذا لا تفعل هذا معي؟!

لا اكترث لأمر خيانتها لي، فأنا لا أحبها، هي مجرد مصالح مشتركة بنا، وبالتالي لا أهتم سوى بتلك المصالح، ثم انني أيضا أخونها.

لكن ما اكترث لأمره هو حوار التخلص مني!

كنت أعلم أن هذا اليوم سوف يأتي، ولذلك زرعت تلك الكاميرات، وجدت مذكراتها وقرأتها، هي تتوقع أنني سوف استشاط غضبًا عندما أعلم أنها تضاجع شخصًا آخر، ولذلك تريد قتلي، أو هكذا أقنعت المدعو (هشام).. ولكن يتضح من مذكراتها أن هناك سببًا أخر.. وهو التفرد بالثروة التي تعبت في جمعها معها.. ولكن هيهات، أنا أسبقها الآن بخطوة أو أكثر.. وبخيانتها لي، يصبح التخلص منها أسهل وأسهل.

من يحزن على موت خائنة؟!

***

مراد

أراقبها في صمت..

أرى (ناهد) تلهو مع ابنتها (نور) في سعادة وحب، وأرى نفسي اغرق أيضًا في تلك السعادة، عند رؤيتها نسيت ما فعلته هي بي، وتمنيت أن أكون في حلم، وأن (نور) تلك الجميلة هي ابنتي أنا منها.

أنا أحق بها، أنا من أحببت (ناهد) سنين، بينما زوجها كان خارج البلد يجمع المال.

على ذكر زوجها، لقد أتى (عصام) في تلك اللحظة، دخل إلى الشقة لأرى نظرة السعادة في عيني الفتاتين، قبل أن يذهبا إليه للترحيب به و.. وتقبيله.

أن تعلم أن محبوبتك قد تزوجت رجل آخر شئ فظيع ربما لا تستطيع أن تتحمله.. ولكن أن ترى الحب والألفة بينهما، شئ آخر، لأن هذا يوقظ رغبة الانتقام بداخلك.. أنت من سرق مني ما عشت لأجله، إذًا فلتتحمل عاقبة ما اقترفت.

لقد أخذ مني (ناهد)، فربما أن آخذها منه أنا أيضًا، دون رجعة، هو أفضل عقاب له، يعيش مع ابنته ذات الأربعة أعوام وحدهما، يتكفل بها ويرعاها.. أم أن أخذ تلك الفتاة الصغيرة هو العقاب الأكبر؟!

لا أعتقد ذلك، فغالبا سوف يحزنان فترة ليست بالقليلة، ثم ينجبان أخرى.. وتعود الحياة كما كانت سابقًا..

obeikandl.com

حتى لو ماتت (ناهد)، ربما بعد فترة، يلجأ (عصام) إلى الزواج من أخرى، وتتحمل هي عبء (نور)، ويعيش هو في سعادة مرة أخرى.

فكرة الانتقام لا تجدي نفعًا، فدائمًا الضرر يقع على (ناهد) أو ابنتها، ومن أريد الانتقام منه لا يقع عليه أي ضرر.. وربما أجد في فكرة الانتقام راحة نفسية لي أنا، وسببًا لقتل من أحب!

الانتقام حجة خيلها لي عقلي لأنفذ مهمتي دون عذاب داخلي.

لا أستطيع أن افعلها بعد أن رأيتها بتلك السعادة، ربما أخذت هي سعادتي عندما تركتني، ولكني لا أستطيع أن أفعل المثل، لا أستطيع أن أسلبها حياتها.

حياة الصغيرة يمكن تعويضها، بينما حياتها هي لا تعوض.. يمكنها إنجاب أخرى وتسميتها بنفس الاسم، وتعيش في سعادة مرة أخرى بعد عناء لفترة، هذا هو الحل الأمثل.

لكن لن أضيع تلك الفرصة دون محادثتها، لقد ظللت أراقبها في صمت لفترة طويلة، لن افعل ذلك الآن.

سوف انتظر الليل، يخمل جسدها لأتحدث معها، أعاتبها، أخبرها أن ما فعلته لم يكن صوابًا.. وأخيرًا، أمهد لها أنها سوف تفقد ابنتها، وإلى الأبد.

ربما هذا يهون عليها قليلًا، فالموت فجأة عذاب يضاهي عذاب فكرة الموت نفسها، وكأن الصدمة تأتي مضاعفة.

لا أريدها أن تعاني العذاب مضاعفًا، لذلك سأخبرها.

الآن، أكتفي بالتطلع إليها، وأشبع نظري بجمالها..

وفي الليل، سوف يتم كل شئ.

***

هشام

في غرفتها نجلس عرايا، على ذلك السرير الطري، لا نستخدم الغطاء، فأين المتعة في ممارسة الجنس ونحن نخفي مفاتننا عن بعضنا؟!

أصبحت الآن أعرف المتعة، والتفرقة بين الشئ الممتع والأكثر متعة، وبالتأكيد مضاجعتها هنا على هذا الفراش أمتع بكثير من المقابر، لذلك طلبت منها أن آتي إلى هنا مرة أخرى، ولن تكون الأخيرة.

علمت أن زوجها اليوم سوف يبيت فى المستشفى، وبالتالي طلبت مني القدوم.

- لن نستطيع الاستمرار هكذا، هذا خطر علينا.

قالتها (سلمى) وهي تنفث دخان سيجارتها، ولكن لا يبدو عليها التوتر.. مما جعلني انتظر عبارتها التالية.

- لابد أن نتخلص من (أحمد) في أسرع وقت..

هذا إذًا ما أرادت الوصول إليه، تقريبًا أصبح حديثها كله -عندما نتحدث- عن كيفية التخلص من (أحمد)، متى نتخلص من (أحمد).. أصبحت حياتنا كلها (أحمد).

- لا أدري!

أدخن أنا الآخر إحدى سجائرها..

- لقد قلت لي أنك سوف تساعدني في التخلص منه.

- نعم، ولكني لم أقل أنني وجدت الطريقة لفعل ذلك.

obeikandl.com

نزلت من على الفراش، لتتطلع إلى نفسها ومفاتنها أمام المرآة، وتلمس أثدائها المنتفخة بأناملها قائلة:

- منذ أن تزوجته، دائمًا أقف مثلما أقف الآن، وأداعب مفاتني، وأقول لنفسي كم أنا جميلة، لماذا كل هذا الجمال يصبح ملك شخص مثل (أحمد) لا يقدره؟! لماذا من الأساس أكون ملك شخص لا أحبه ولا يحبني؟!

كنت أتطلع أنا الآخر إلى مفاتنها من الخلف، ولكن صوتي خرج باردًا كالعادة.

- المال، السبب هو المال.

تبتسم في حسرة:

- ليس المال فقط وإنما السلطة أيضا، عندما يتردد أسمينا فى أي مكان، يقف لنا الجميع احترامًا.. لن أقول أنني بعت جسدي رخيصًا، أو أنني اكتشفت أن المال ليس كل شئ، لا فالمال بالفعل كل شئ، ولا أندم على فعلتي، ولكنني الآن أملك فرصة لتصحيح المسار..

ثم تنظر اتجاهي متابعة:

- بإمكاني أن أملك ضعف ما أملك من مال، وفي نفس الوقت أكون بالقرب مع من أحب.

لحظة رومانسية، تتوقع مني أن أبادلها الابتسام، أن أترجل من على الفراش وأعانقها.. ولكن كل ما فعلته هو إطفاء السيجارة، والإجابة بنفس الصوت:

- لك ذلك، سوف نقتل زوجك قريبًا، لا تقلقي.

نتحدث عن إذهاق روح، أو بمعنى أدق، قتل جسد، وكأننا نتحدث عن عشائنا اليوم! ليس من العجيب أن أكون أنا كذلك، فالمشاعر شئ جديد عليّ، أما بالنسبة لها، أين المشاعر؟! أين الندم؟! أم أن ما مرت به في حياتها قد مزق تلك المشاعر؟!

كنت أسترسل في أفكاري، عندما اقتحم فجأة (أحمد) الغرفة، يحمل مسدسًا في يده ويصوبه اتجاهنا،وتعلو شفتيه ابتسامة ساخرة هادئة.

لم أتحرك من مكاني، حتى أنني لم أفزع.. على عكس (سلمى)، قفزت من مكانها لتصبح جواري على الفراش، وكأنها تحتمي بي، مع صوت شهقة خوف عالية.

- لا تفزعا، فأنا أعلم قصتكما منذ فترة، وهذا لا يقلقني الحقيقة.

تنكمش (سلمى) ناحيتي في خوف، بينما أعتدل أنا في جلستي متطلعًا إليه في صمت.. يتابع:

- ولكن خطأكما الوحيد هو التفكير في التخلص مني.. كنت أعلم أنكِ سوف تفكرين في هذا الأمر، فمن تقتل أبيها لا يمكن الوثوق بها.

بصوت متقطع تستطيع (سلمى) أن تسأل:

- كيف.. كيف علمت؟!

يضحك (أحمد) ساخرًا:

- كاميرات المراقبة في كل مكان بالشقة، وبالخارج هناك من يراقبك دائمًا.. ألم أقل لك أنني لا أثق بك؟! وحمدًا لله، لقد سهلتي عليّ المهمة، فبخيانتك لي هنا مع عشيقك في غرفة نومنا، سوف يكون قتلك.. أقصد قتلكما دفاعًا عن الشرف.. وربما الدعاية السلبية في الإعلام تزيد من شهرتي بعد ذلك.

تتسع نظرات الرعب على وجه (سلمى) عندما ذكر كلمة القتل، فهي كانت تخطط لفعل العكس وليس هذا..!

بينما كنت أنا صامت طوال الوقت، لا استمع لكلماته أو لسخريته، إنما كنت أفكر في أمر ما، ربما يكون فيه خلاصنا، وربما هو ضرب من الجنون!

- يا أيتها الروح الضعيفة، اتحدث إليكِ فانتبهي لي..

بدأت أردد الكلمات وأنا أنزل من على الفراش واقفًا، وسط ذهول (سلمى) وسخرية (أحمد).. ولكني لا اكترث وأتابع:

- نفخك الله في ذلك الجسد، وهو يريد استردادك الآن..

تخرج (سلمى) أصوات مستنكرة لا اسمعها، فحواسي كلها مشتركة معي فيما

أقول، تذكرت الآن كلام الشئ الغريب الذي جلس معي في مقبرة عم (محروس)، عندما قال لي أنني لم اتحول بالكامل إلى إنسان، فربما استطيع إخراج روح (أحمد) من ذلك الجسد!

- فبحق الله، بقوة الله وبغضبه اخرجي..

تتحول عيناي إلى الأبيض الناصع، ويتشنج جسدي، وتبرز عروقي وكأنها ستنفجر.. بينما أنا أتابع وقد تضخم صوتي قليلًا:

- حتى لو كان هذا عكس رغبتك، هذه هي إرادة الله، فاخرجي.. بسم الله، بأمر الله، تخلصي من ذلك الوعاء وتحرري.. بسم الله.. بأمر الله.. بقوة الله.. بغضب الله..

ظللت أردد الكلمات الأخيرة مرارًا وتكرارًا، فتحول الأمر من استنكار، أو سخرية، إلى رعب، وزاد الأمر عندما شهق (أحمد) شهقة عالية، وتغرغر، قبل أن يسقط السلاح من يده، ويسقط هو أرضًا، متشنجًا يتلوى كالأفعة المحتضرة، ثم يهدأ كل شئ.

تعود عيناي إلى طبيعتها، ويهدأ جسدي الذي ملأه العرق.. وتعلو شفتاي ابتسامة نصر.. ليس لأن (أحمد) قد مات.. وإنما لأن الأمر قد نجح، وأن كلام ذلك الشئ كان صحيحًا، فأنا لم أتحول إلى إنسان بالكامل بعد.. وفي لحظة دخول (أحمد) فكرت أن استعمل العبارة التي نقولها للروح العنيدة فنخرجها من الجسد غصبًا، لم نكن نستخدمها كثيرًا، ولكنها مهمة في بعض الأحيان.. وها هو ذا.. نجح الأمر.

- ما.. ما.. ماذا أنت؟!

لقد نسيت أمر (سلمى)، هاهي الآن تبتعد عني في خوف، وتتطلع إليَ وكأنها ترى شيطانًا!

هذه المرة الأولى التي آخذ فيها روحًا أمام إنسان أخر!

فما العمل معها الأن؟! كيف أتصرف؟!

وهناك شئ أخر..

عندما كنت عزرائيل، كنت أخرج الروح من الجسد، أراها وأحملها إلى مدينة عزرائيل.

إنما الآن، أنا استطعت إخراجها، ولكنني لا أراها..

بالتالي، لا أعرف إلى أين ذهبت روح (أحمد)!

***

obeikandl.com

سلمى

ما حدث كان جنون!

فجأة تحول (هشام) إلى شيطان بشع يردد كلامًا غريبًا، ثم بعدها سقط (أحمد) صريعًا قبل أن يعود (هشام) مرة أخرى إلى طبيعته.. يسهل وصف ذلك على الورق، ولكن رؤيته شئ أخر..!

تملكني الرعب، رعب أكثر بكثير من رؤية زوجي وهو يهدد بقتلي.. رعب جعلني أقفز من على الفراش مذعورة.

- نتخلص من تلك الجثة أولًا، وسوف أشرح لكِ كل شئ.

قالها (هشام) بهدوء وكأنه لم يفعل شيئًا! أو إنه شئ معتاد على فعله..!

أخاف أن أغضبه، فيفعل بي نفس الأمر.. ولكن ما العمل؟! ماذا أفعل؟! هكذا ظللت أتطلع إليه في رعب.

- هذا سحر أسود، كنت أمارسه قديمًا، ولكني كنت أجهل أنني مازلت أمتلك المهارة لفعله.. رأيت زوجك قد شارف على قتلنا، فقمت بالتجربة، لعله ينقذنا، وهذا ما حدث، بالرغم من أنه كاد أن يقضي على حياتي، فهذا السحر من أخطر ما يكون.

هكذا شرح الأمر، وأعتقد أنه التفسير الوحيد المقنع لما حدث.

ماذا في هذا إذًا؟! لماذا أخاف؟!، هو يحبني، وأنا أحبه، وقد فعل ذلك لحمايتنا، بل لحمايتي أنا، فحسب قوله، كان من الممكن أن يموت وهو يفعل ذلك السحر.

obeikandl.com

حسنًا، سوف أطوي تلك الصفحة، ولأبدأ معه من جديد.

بالنسبة لـ(أحمد) زوجي، فقد تركت (هشام) يذهب، ثم أبلغت السلطات، حيث ذكرت أنه مات فجأة دون سابق إنذار.. طبعًا بعد أن أخفيت السلاح الذي كان على الأرض.

وبعد الكشف على (أحمد)، دون أن سبب الوفاة أزمة قلبية.

أصبح المال كله لي.. (هشام) الساحر العاشق ملكي.

الحياة ابتسمت لي أخيرًا..من اليوم،بدأت حياتي الجديدة.

***

obeikandl.com

مراد

- حبيبتي..

رددت تلك الكلمة لتلتفت إليّ روح (ناهد)، التعجب والصدمة ارتسمى على وجهها وليس الفرحة كما تصورت.

- (مراد)؟!

أيضا نبرة صوتها تؤكد على ما ارتسم على وجهها، هي ليست سعيدة برؤياي، ولكني تغاضيت عن ذلك، فأنا سعيد بالحديث معها.

- أأنا أحلم؟!

- شبه ذلك، أنتي لا تحلمين، الوضع أشبه بالرؤيا ليس الحلم، فما يحدث الآن حقيقة، وما أقوله حقيقة، وما أشعربه وتشعرين به حقيقة.

- أنا أشعربالخوف..! ولكني لا أعلم مما أخاف!

الروح تشعربعزرائيل عند القدوم، لذلك هي تخاف.

- ربما لأنك الآن في حضرة عزرائيل.

اتسعت عيناها دهشة ممتزجة مع قليل من الرعب.

- عزرائيل؟! ولكنك (مراد)، حبيبي السابق!

حبيبها السابق! كم مؤلمة هذه الكلمة، تقضي عمرًا كاملا لتحقيق حلم الحب والحياة مع من تحب، وربما ينهي هذا على حياتك مثلما حدث معي، وكل هذا لتصبح حبيبٌ سابق!

obeikandl.com

- أصبحت الآن حبيب سابق؟! هل نسيتي كل ما مر بيننا؟!

ترتبك قليلًا، لم تتوقع هي أن أدقق فيما تتلفظ.

- نعم، هذه هي الحقيقة، الآن أنت حبيب سابق، ربما أتذكر بعض مما مررنا به، وأحبه أيضا، ولكن في النهاية أنت حبيب سابق، لقد أصبحت لي حياة الآن، لي إبنة، وزوج أحبه.

لماذا تفعل هذا بي؟! لماذا تؤلمني بتلك الكلمات؟! لقد أتيت لكي أراها، اشتاق إليها، وكنت اعتقد أنها سوف تبادلني نفس الشعور عندما تراني!

- لماذا أنت هنا؟!

قالتها لي بحدة، وكأنها تعاتبني على القدوم!

- أنا هنا لأنني اشتقت إليكِ، أردت الحديث معك.

- ربما يكون هذا سببًا، ولكنه ليس الوحيد، فما معنى قولك بأنني في حضرة عزرائيل؟!

حانت الآن اللحظة التي أخاف منها، ربما من الجيد إخبارها، فهي ألمتني كثيرًا الأن، فلا ضرر من أن تتألم هي الأخرى قليلًا.

- هذا صحيح، أنا الآن عزرائيل قابض الأرواح، وأنا هنا لأخذ روح ما.

الدهشة تعتلي وجهها:

- كيف هذا؟! أنا لا أفهم! أنت (مراد)..

- نعم، أنا كنت (مراد)، ولكنني الآن قابض للأرواح.

كادت أن تسأل سؤالًا آخر، حيث الدهشة لم تختف بعد، ولكنني قاطعتها:

- لا تحاولي فهم الأمر، فقط تقبليه كما هو.. أنا عزرائيل، قابض الأرواح.

ترقرقت الدموع في عينيها.

- أهكذا تنتقم مني؟!، تأخذ روحي بعد أن أصبحت سعيدة في حياتي؟!

انتقام؟! لا أنا لم أفكر في ذلك، ربما فكرت في قتل زوجها وليس قتلها هي، فأنا أحبها.

obeikandl.com

- لا، الأمر ليس له علاقة بما مررنا به، لا علاقة له بأي انتقام، ثم إنني لا أتحدث هنا عن روحك، لقد قلت أنني جئتك للاشتياق لا أكثر.

زاد رعبها عما سبق، أدركت الآن أن الأمر ليس متعلق بها، وأن الروح التي سوف تؤخذ، روح أحد مما تحب..

- زوجي؟! انت تكرهه، لابد أنك أتيت هنا لتأخذ روحه.

- قلت لكِ الأمر لا علاقة له بالكره أو الحب، فالروح التي سوف تؤخذ هي روح ابنتك، روح (نور).

كانت هذه لحظة انهيارها، أخذت في البكاء والنحيب، وهي تتوسل.

- لا، ليست ابنتي، هي لم تعش حياتها بعد، فأمامها العمر طويلًا ربما تحقق ما لم استطع تحقيقه، ربما تسعد في حياتها، أرجوك، لا تأخذ روحها، روحي أنا ملكك، أرجوك.

دمعت عيناي، حبيبة عمري تتوسل إليّ الآن كي أقتلها..! ربما أنا غاضبٌ لأنها الآن مع غيري، ولكنها سعيدة، وهذا يكفيني.. أو أدركت الآن أنه يكفيني.

- ولكنك مع زوجك تستطيعان أن تنجبا غيرها، إنما لو أخذت روحك أنت سوف تتعذب ابنتك دون أم، ولن يستطيعا تعويضك مهما فعلا.. فمستحيل أن يجدا مثلك.

يزداد نحيبها أكثروأكثر..

- أنت لا تفقه شيئًا عن الحب، ربما أحببتني بصدق، ولكن الحب هنا مختلف، إنها ابنتي، لا يمكن تعويضها، هي روحي، إن أخذتها، سوف تأخذ معك روحين وليست واحدة، لن استطيع العيش لحظة واحدة بدونها.

هي التي لا تفهم، لو أخذت روحها لن تكون وحدها، سوف يذهب معها قلبي، فوجودها بالحياة سعيدة هو ما يجعل قلبي ينبض.

- أرجوك، روحي أنا ملكك، اتركها تعيش حياتها، ترى مصيرها، ربما يكون جيدًا، أرجوك.

الحب تضحية، وإن كان هذا آخر نبض في قلبي سوف أضحي به لأجل رغبتها.

- ربما تعتقدين الآن أنني أملك مصيرك أو حياتك أو حياة من تحبين، ربما تعتقدين أن قرار الموت في يدي، لأنني أنفذه، ولكن هذا ليس صحيحًا، فأنا لا أملك قرار الموت حتى لو اعتقدتي ذلك.. حسنًا، سوف تكون روحك بدلًا عن ابنتك كما ترغبين، ولكنه أيضا ليس قراري، فالموت هو الذي يملك القرار.

***

obeikandl.com

أنا الموت يحدثكم...

أنا الموت أملك القرار..

في الحياة، لا سيد لي ولا سلطان..

فكل كائن حي تحت إمرتي..

ملائكة.. شياطين.. إنس.. جن

دابة أو نبتة

كلهم تحت جناحي ينتظرون..

فأنا الموت..

سيد القرار..

obeikandl.com

obeikandl.com

(٦)

بسم الله.. بأمر الله
بقوة الله.. بغضب الله..

obeikandl.com

obeikandl.com

هشام

مر الأمر بسلام..

اقتنعت أنني أتقن بعض السحر الأسود أو لم تقتنع، هذا لا يهم، المهم أنها تقبلت الأمر الآن.

بالطبع توقفت علاقتنا قليلًا، مراسم العزاء، الحزن المصطنع على زوجها، قبل أن ينتهي (أحمد) من حياتها نهائيًا، أو ليس الأمر هكذا تمامًا، فلم يتركنا (أحمد) كما توقعنا، فلفترة من الزمن، ظل يظهر لكلينا في أحلامنا.. أعتقد أن روحه ظلت تائهة لفترة، فوجدت أن إزعاجنا هو الأمر المناسب لها.. بدأت تظهر ككوابيس توقظنا وتقلق راحتنا، ولكني كنت أعلم أن هذا لن يستمر طويلًا.. فبالتأكيد سوف يلتقطها عزرائيل ما، لن تكون هائمة في الأحلام للأبد.

هذا ما حدث بالفعل، فبعد مدة، اختفى (أحمد) من أحلامنا، وعدنا كما سبق، بل أفضل مما سبق بكثير.

فاليوم هو اليوم الأول الذي أخرج معها في نزهة ليست متعلقة بمكان محدد، ذهبنا إلى أحد المطاعم تناولنا وجبة الإفطار، قبل أن نذهب في سيارتها إلى جولة للا مكان، جولة نثرثر فيها ونضحك، ونستمتع بالهواء الذي يطير خصلات شعرنا.

ذهبنا في الليل إلى الملاهي.. كنت أتعجب سابقًا، لماذا يحب الإنسان الاستمتاع بما يعرضه للخطر؟! لماذا يستمتع بما يخشاه؟! كيف له أن يلعب لعبة في الملاهي لكي يصرخ رعبًا طوال الوقت، ثم عندما ينتهي من اللعب، يشعر بالانتشاء!

obeikandl.com

كان ذلك قبل أن أجرب الأمر بنفسي، لا أعلم السبب ولكنه ممتع بحق، وخصوصًا عندما يتشبث بك من تحب..! تشعر حينها بالقوة، فعندما تخاف (سلمى) تتشبث بذراعي، أصبحت أنا مصدر الأمان بالنسبة لها..

انتهى اليوم.. أوصلتني بسيارتها إلى منطقة وسط البلد وذهبت، حيث أنني عدت إلى شقتي منذ فترة، تاركًا المقابر، لكي أكون بقربها.

أروع يوم مررت به منذ أن وطأت قدماي هذا المكان، يا الله!

ذلك الشعور!، أهو أكبر من الحب؟!، أم أنه مجرد شئ جديد أمر به فأنبهر وأتعلق بتلابيبه مثل غيره؟!

لا لا، هذا مختلف، فأنا أعشق قربها، أريد أن أرى عينيها الزرقاوين كل لحظة.

أترك رفقتها فأراها فى أحلامي، نعم أحلامي، لا تتعجب، فأنا أحلم أحلام سعيدة الآن مثلي مثل أى شخص.

أدلف إلى العمارة التى أسكن بها، وأستقل المصعد حتى الدور السابع لأجد نفسي أمام باب الشقة دون أن أشعر.

أتأمل اسمي المكتوب على الباب (هشام أحمد الجبالي)، انطق حروفه فأنا لم أعشق هذا الاسم مثلما أعشقه الآن، عشقته منذ أن تغنت هى به.

أُخرج سلسلة مفاتيحي من جيب بنطالي، وأدخل إلى شقتي وأنا أدندن ببعض الألحان.

أخلع قبعتي الكلاسيكية، والبالطو لأعلقهما على المِشجَبْ وأنا أفكر، لم أكن أنتوي التفكير الليلة فى أي شئ، ولكني الآن أقف فى صمت تام وقد اتخذت قرارًا بعد تفكير للحظات قليلة.

سوف أتزوجها، غدًا سوف أطلب من (سلمى) الزواج.

لم لا؟! فهى فتاة رقيقة، أحبها وتحبني، بإمكاني الآن تكوين أسرة، زوجة، أولاد، بإمكاني...

- أهلا (هشام)، أليس هذا هو أسمك الآن أم أنا مخطئ؟

سرحت فى أفكاري فلم ألحظ أن الضوء يغمر الشقة، بالرغم من تأكدي من إغلاقه قبل النزول!

يظهر المتحدث قادمًا من غرفة النوم، تعرفت عليه من النظرة الاولى، فأنا أعرف جيدًا تلك العيون البيضاء..!

- أنت؟! ماذا تريد؟!

قلتها وتسارعت ضربات قلبي، من الممكن فى وقت أخر ألا أشعر بهذا القدر من الخوف، ولكن الأن، اليوم؟!

اقترب الشخص قليلا بخطوات واثقة.. ليظهر أكثر فى بقعة الضوء بجسده العاري، ولون بشرته البيضاء مثل الثلج.. وأعلم أيضا أن ملمسه مثل لون بشرته!

- ألم تفتقدني؟ لقد مر زمن منذ أخر لقاء بيننا.

تسارعت دقات قلبي.

- كنت أتمنى لقياك ولكن فى وقت سابق، ليس اليوم.

يضحك الرجل بصوت عال وهو يستمر فى الاقتراب.

- لا تقلق، فلست قادم إليك أنت.

ماذا؟! ليس قادمًا لأجلي؟! ولكن هذا مخالف للقوانين!

- كيف هذا؟! ليس مسموح لك أن تظهر لي دون أن تأخذ روحي معك!

ينفجر الرجل ضاحكًا مرة أخرى قبل أن يقول:

- لا يوجد ما يسمى بغير مسموح، فدائمًا يمكن تغيير ذلك.

إذًا فهو لن يأخذ روحي، من المفترض أن يكون هذا مطمئنًا، ولكن لمَ قلبي منقبض هكذا؟!

يحوم الرجل حولي متحدثًا:

- أعلم أنك أخيرًا أحببت الحياة، أو بالأحرى وجدت سببًا لتحب الحياة، لقد قلت لك من قبل، الحياة شئ قذر لا يطاق.. لكن عندما تجد وردة فى قلب تلك القذارة، تتمسك بها، آملًا أن تظل جوار تلك الوردة، تستنشق رحيقها وتنقيه

من الروائح القذرة حوله، وإن لم تستطع تنقيته، تتقبل الوردة كما هى في مكانها وسط القذارة.

توقف قليلا وهو يتطلع إلىّ، وعندما لم يجد أى تعقيب تابع:

- ولكن الإنسان غبي، يتمسك بتلك القذارة لمجرد وردة واحدة جواره يعلم جيدًا أنها فى يومٍ ما سوف تذبل وتموت!

بدأ الأمر يتضح الأن!

أنه يتحدث عن وردتي!

هو لم يأتِ إليّ لكى يأخذ روحي، وإنما جاء فقط ليخبرني أنه أخذ روح من قررت أن أحب الحياة من أجلها..

روح (سلمى).

***

obeikandl.com

مراد

بدأت أتحول شكليًا، أشعر بذلك.

أصبحت الآن مثل كل عزرائيل بالمكان، عاري الجسد، أبيض البشرة، بدون أعضاء تناسلية، وأعتقد أن عيناي أصبحت بيضاء هي الأخرى..

لقد اقتربت من النجاح، لا أعلم هل هذا شئ مفرح أم أنه مبغض، فمهمة أخرى وتنتهي إرادتي، مشاعري.

الآن التحول الجسدي قد تم، ولم يبق سوى التحول الداخلي، الذي كان يتحول تدريجيًا في كل مهمة أمر بها، فمثلًا بعد المهمة الأخيرة، أصبحت بلا قلب.. فقتلك لمن تحب يقتل قلبك معه.

- لم يبق سوى مهمة واحدة وتصبح منا.

قالها (عزرائيل الكبير) الذي ظهر من العدم كالعادة، يبدو أنه سعيد بما وصلت إليه.. هذا واضح من الابتسامة التي تعلو وجهه.

- أنا مستعد لها..

وكأنه لم يستمع إليَّ تابع:

- مهمة أخرى وتصبح مثلك مثل كل عزرائيل هنا، بلا إرادة، جندي في مدينتي، تفعل ما تؤمر به فقط دون جدال.. فاستمتع بما بقي من إرادتك في مهمتك الأخيرة.

إذًا هو ليس سعيدًا كما تصورت، هو يشمت في، يذكرني بالمصير الذي أنا أردته لنفسي، يذكرني بالمصير الذي ورطني فيه عزرائيل الأخر، وأخذ مكاني في الدنيا.

تصورت أن بكوني عزرائيل سوف أكون أبديًا، ولكنه ليس كذلك، تصورت أن بكوني عزرائيل سوف يكون باستطاعتي التمسك بإرادتي.. ولكنه ليس كذلك.

لقد كانت معطياتي مغلوطة، وبالتالي أنا في موقف لا رجعة فيه.

لكن لو كان هذا هو الأمر، فلا ضرر من الاستمتاع قليلًا طالما هذا مازال ممكنًا.

- توديعًا لإرادتك، سوف أجعل مهمتك الأخيرة باختيارك المطلق.. أمامك العالم أجمع.. اختر أنت من تجلب روحه لي.

أنهى عبارته بابتسامة واسعة، وكأنه يمنحني هدية، ثم اختفي.

أمامي الآن العالم أجمع، اختار بنفسي من أريد قتله.. من الطبيعي أن اختار روح سهلة المنال لكي يمر اختباري بنجاح، ولكن مهلًا.. ربما هذه فرصة للانتقام.

ذهبت بعقلي إلى حياة (عزرائيل) الذي تبادل معي الأدوار.

هو في الدنيا يدعى باسم (هشام)، فقط الاسم هو الذي تغير، وإنما أخذ منزلي وحياتي.

استعرضت سريعًا حياة (هشام) امامي، فعلمت بما مر به، علمت كل الأخطاء التي ارتكبها بإرادته الحرة، تأكدت من أن المشاعر ربما تكون نقمة أكثر من منفعتها في حياتنا، وربما هي نقمة شرسة في الأصل ونحن نحاول ترويضها طوال حياتنا.

فالخطأ عند البشر غريزة، لا يستطيع التغلب عليها، والقتل خطأ ضمن الأخطاء، وبالتالي هو أيضًا غريزة نولد بها ولكننا نحاول بقدر الإمكان كبحها، لأنه ليس مجرد خطأ، إنما هو خطأ يدمر الحياة..

مهلًا، ربما الحياة أصلا خطأ كبير، فلا حياة دون قتل، ولا موت دون حياة.

شاهدت حياة (سلمى) هي الأخرى، و(أحمد) زوجها.

توقفت هنا عند الطريقة التي قتل (هشام) بها (أحمد)!

إذا فهو لم يتحول إنسانًا كاملا بعد، وربما ما فعله هذا هو اختباره الأخير.. ولكن ما تلك الجملة التي استخدمها؟!

يبدو أن عزرائيل الكبير لم يطلعني على كل شئ، أراد مني التعب حتى أصل إلى هدفي، أو ربما لم أكن أمتلك القوة الكافية كي أتلفظ بتلك العبارة القاتلة! اعتقد أنني أملكها الآن.

إذًا هناك عدة طرق لأخذ الروح، منها سلس مثل اقناع الروح بالذهاب معي، وأخرى يعذب الجسد والروح معا، مثل تلك الجملة الآمرة.. وربما هناك طرق أخرى لا أعلمها.

أرى الآن (سلمى) وهي تقود سيارتها بسعادة غامرة، بعد أن تركت (هشام) وأوصلته إلى منطقة سكنه، أو بالأحرى منطقة سكني أنا السابقة.

لقد قررت ألا آخذ روح (هشام)، فروحه ليست انتقامًا يشبعني، وإنما روح من أحب الحياة بسببها، روح (سلمى) هي هدفي الأخير، بنفس الطريقة التي مات بها زوجها (أحمد)، ولكنني لن أعاني مثما عانى (هشام) في نطق الجملة، فجسدي مجهز لذلك.

أردد العبارة ببطء.

آراها الآن وهي تشهق عاليا، تتغرغر غرغرة الموت، ثم تنقلب السيارة بها، ليهمد جسدها إلى الأبد.

***

opelkandi.com

كريم

- ثم أصبحت هكذا..

قالها ذلك الكهل في مدينة (عزرائيل) منهيًا بها قصته، فتسائلت حائرًا:

- ولكن لماذا أصبحت كهلًا، حبيسًا هنا؟! لقد أتممت مهمتك بنجاح، وأخذت روح (سلمى)، فلماذا تُعاقب؟!

- أنا لم أكتف بذلك، لقد تماديت في انتقامي وظهرت إلى (هشام) متحديًا كل القوانين، ليس مسموحًا لي الظهور في الحياة، ولكنني كنت أريد أن أرى نظرة الانهزام والانكسار في عين (هشام)، أردت أن أعزز انتقامي.

ابتسمت ساخرًا:

- ليست تلك هي الحقيقة، ليس مخالفتك للقوانين هي من جعلتك هكذا، وإنما رغبتك في الانتقام، مما جعلك تخالف القواعد، لم تستطع التغلب على مشاعرك الإنسانية، ولهذا فشلت في الاختبار.. ثم أن (هشام) ليس له يد في أن تصبح أنت عزرائيل! فلا أرى هنا سببًا للانتقام غير أنه محاولة منك في أن تداري فشلك عن طريق لوم شخص آخر، وتحميله خطأك أنت.. وهذه أيضًا، مشاعر إنسانية أخرى.

لم يجب العجوز، فهو يعلم يقينًا أنني على حق، ولكن ماذا كان مصير (هشام)؟! كأنه سمع تساؤلي، فقال:

obeikandl.com

- فشلت أنا، على عكس (هشام) الذي نجح في أن يكون بشريًا، ولكنه بشري محطم، يقضي حياته في كتابة المذكرات، إنسان يعيش مع ماضيه.

- ولكن كيف ذلك؟! لقد ارتكب ابشع الأخطاء، كيف نجح في الاختبار؟!

يبتسم العجوز مجيبًا:

- الإنسان خطاء، ولذلك هو نجح.. يمكن لملاك أن يتحول إلى بشر، فالخطأ لا يوجد أسهل من ارتكابه، بينما لا يستطيع الإنسان أن يكون ملاكًا.

ما هذا الذي يقوله، إنه عجوز خرف يهذي.

اتركه وأذهب..

يستطيع الإنسان أن يكون ملاكًا، وأنا الدليل على ذلك، لقد أخطأ (مراد) او ذلك الكهل، أيًا كان، كثيرًا، لقد أتيحت له الفرصة لكي يصبح (عزرائيلًا)، وهو أضاعها برعونة.. على عكسي أنا، فأنا متمسك بتلك الفرصة..

إنهم جميعًا أغبياء.. سوف أثبت ذلك.

***

opeikandl.com

obeikandl.com

أنا

المـــــوت

ينهي

الحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر خاص لكل أصدقائي الكتّاب الذين ساعدوني لإخراج هذا العمل

سواء كان ذلك عن قصد أو بدون..

حبيبتي وزوجتي د/ شيماء عبادي

عصام منصور – حازم الشرقاوي – محمد راضي – محمد عبد القادر

محمد أبو رية – محمد تركي – مصطفى اليماني – محمد عبد القوي مصيلحي

محمد عبد العليم – ياسين أحمد سعيد – إسلام علي – محمد جلال –

رباب فؤاد، عـاء محمـــود- مصطفى سيف - د/ حسين السيد - حسن الجندي.

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikandl.com